عامر رشيد السامرائي

آراء في العربية

ساعدت وزارة التربية على نشره

منشورات - مكتبة النهضة - بغداد

آراء في العربية

بقلم

عامر رشيد السامرائي

ساعدت وزارة التربية على نشره

مطبعة الارشاد ـ بغداد

تمهيد

ان ما كتب عن اللغة العربية يفوق العد والحصر . والمكتبة العربية غنية جدا بمؤلفات تناولت قضايا اللغة العربية من جميع وجوهها ، حتى تكررت الاراء وتعددت وصارت مصدر ارباك لمن أراد بحث موضوع معين يخص تلك اللغة ، الامر الذي يصرف الكثيرين عن دراسة ما يتعلق بلغتهم لسعته وتشعبه ، ولقد فكرت في أن اضع هذا الكتاب ، اتناول فيه بعض المسائل المهمة في العربية ، على ان يكون جامعا لآراء أغلب المحدثين . فكان ان انصرفت اليه منذ ثلاث سنوات ، أعيش بين آراء كثيرة فيها المتشابه وفيها المتناقض ، وبذلت جهدا للتنسيق بينها لاخرج على القارىء بكتاب تجتمع فيه الاراء القيمة مع اشارة الى المصادر ليتسنى لمن يريد التوسع الرجوع اليها ، ولم اعدم فرصة ناقشت فيها بعض الافكار وأبنت فيها عن رأيي فعساى أن أكون قد وفقت في خدمة العربية .

المؤلف

الاهـــداء

الى ...

أمي وأبي

حبـــاً ..

واستغفاراً عن عقوق .

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

البحث في اللغة والنحو وسواهما من علوم العربية مما ينصرف عنه أكثر الدارسين الذين يؤثرون الهين والسهل من الامور ، ذلك الذى يقول فيه القائل ما يشاء كما يشاء ، فاذا محص ما يقول أو تعرض للنقد توسل الى تبرير موقفه بالاجتهاد الشخصي والذوق الفني ونحو ذلك من عبارات ألفها الناس والفتهم من دون أن تخالط نفوسهم او تمازج أفكارهم • ومن اجل ذلك يكثر الحديث عن الشعر وعن القصة وما الى ذلك في كتابات المحدثين من المؤلفين ولاسيما الشبان •

وأصبح درس الادب ونقده عندهم هيكلا لا يقوم على أساس من درس اللغة وعلومها وفهمها فهما مدركا ، وعاد الادب ونقده ميدانا لا حدود له ولا مقاييس فيه يخوضه كل خائض بلا ضابط من علم أو دراية •

— ١ —

ولقد أقبلت نفسي على كتاب الاستاذ عامر السامرائي يحدوها التطلع الى هذا الجهد الذى دفع به الى ميدان لا يخلو من وعورة ولا يسلم من عقبات • فلقد تعرض للبحث في مسائل من العربية في اللغة وفي النحو تحتاج من الباحث الى الصبر على الجهد ، والتدرع لها بالقراءة

الكثيرة والاطلاع الواسع على آراء العلماء القدامى والمحدثين وفهمها وتمثلها حتى يستطيع ان ينقد منها ما يستحق النقد ويأخذ بما هو في رأيه أهل للاخذ به وينبذ ما لا يستحق البقاء ، يفعل ذلك على هدى وبصيرة ، لا يتعسف ولا يشتط ، وانما يجتهد اجتهاد طالب الحقيقة الذي لا يريد سواها ولا يميل الا اليها .

ولقد أعانه على ذلك ويسر عليه السبيل انه شاب من شباب هذه الطليعة الواعية التي تؤمن بربها وتعرف نفسها وتدرك موقع امتها من الجماعة الانسانية ، وتفهم ان هذه اللغة العربية هي أهم ما تقوم به حياة الامة في علاقات أجزائها التي فرضت عليها التجزئة فهي تسعى الى استكمال وجودها بالتوحيد وبالتقدم . وكل ذلك لابد ان يبدأ بالتواصل الفكرى والشعورى بين الافراد ، وبين الاقطار على سواء ، واللغة العربية هي الوسيلة الاولى التي يكون بها هذا التواصل في مداه القريب وفي أمده البعيد .

— ٢ —

ويعرض المؤلف في فصول كتابه لامور ذات خطر كبير في حياة اللغة العربية فيستوعب الى حد بعيد ما كتب فيها وما قيل ثم ينقد ذلك نقد الباحث عن الحق في سكينة وفي تؤدة لا يتحيف في نقده ولا يتعصب ، حتى تخرج النتائج عنده رزينة رصينة قائمة على أساس من الاستنتاج المستقيم اللاحب الطرائق الواضح الاساليب .

ولست أريد أن أطوف بالقارىء في فصول الكتاب فانها بين يديه ، ولكني أريد ان انوه ببعض تلك الفصول وبما عكسته في نفسي عند قراءتها . فلقد أحسن المؤلف في عرضه لموضوع اللغة والمجتمع ، واللغة والقومية ، واستخلص من عرضه لآراء الباحثين في هذه الموضوعات ونقده لها آراء قيمة .

وان في الفصل الذى عقده لتيسير اللغة العربية لجهدا يبعث الاعجاب فقد استطاع أن يستعرض فيه أكثر ما كتب في هـــذا الموضوع المتشعب الاطراف ، وألم بها المام الفهم المدرك ، ونقدها نقد الانصاف الذى لا يزيغ ولا يتحيز ، وكفى بذلك فائدة للقارىء تغنيه عن طول التتبع والمعاناة .

ـ ٣ ـ

على ان ثمة ملاحظة عامة على اسلوب البحث ، فقد جمـــع المؤلف علوم العربية ولاسيما النحو واللغة جمعا قد يظنه طائفة من الدارسين للعربية من قبيل الجمع على غير حده . فقد الفوا أن يكون تصنيف هـــذه العلوم وتقسيمها هو الاساس في دراستها وفي نقدها والبحث في تيسيرها عـــلى الدارسين .

على أن الفصل الذى يقطع الاسباب بين هذه العلوم ـ علوم العربية ـ هو في الواقع علة من عللها التي يراد لها العلاج ويطلب لها التيسير . وقد يكون المؤلف مدفوعا بهذا الدافع ، ولكنه على أى حال قد ذهب في مزجهـا مذهبا بعيدا بعض الشىء .

وبعد فان في هذا الكتاب جهدا يبعث على الأمل في جهود تتلوه مباركة وفهما لمسائل العربية وصدقا في معالجتها يطمع في المزيد . وهو جدير بان ينال مكانة عند قراء العربية وأن يحقق الفـــائدة التى لاشك فيها ، والله المسؤول ان يوفق الى خدمة العربية كل عامل من المخلصين .

الدكتور
احمد عبدالستار الجوارى
١٩٦٢/٨/١ بغداد

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

ما اللغة ؟

الانسان هو الكائن الوحيد الذى يعطي للموجودات اسماء ، لذلك فان للغة من الاهمية ما يعادل أهمية خلق العالم .

الفيلسوف لويس لافيل

وظيفة اللغة الجليلة الاولى والعظمى هي تكوين العالم الانساني .

سوزان . ك لانجر

مــــا اللغــة

للغة تعاريف عدة منها ما يختلف عن غيره جوهرا ومنها ما يختلف عنه شكلافهي في المعاجم[١]:«اصوات يعبر بها كل قوم عن اغراضهم» وقال البعض انها الالفاظ الموضوعة للمعاني[٢] وحياة البشر وحاجاتهم كانت سبب تكون الالسن على اختلافها[٣] ويرى اخرون انها نطق يعبر عن فكرة او عاطفة ، وهي مجازا كل وسيلة تعبر عن فكرة او عن عاطفة[٤] او هي عبارة المتكلم عن مقصوده[٥] .

---

(١) القاموس : الجزء الرابع صفحة (٣٨٦) الطبعة الرابعة و (تاج العروس) الجزء العاشر صفحة (٣٢٧) وعلى هـذا الرأى ابن جني في (الخصائص) الجزء الاول صفحة (٣١) مطبعة دار الهـلال والسيوطي في (المزهر) الجزء الاول صفحة (٧) .

(٢) المزهر : للسيوطي الجزء الاول صفحة (٨)

(٣) جاء في المزهر ، الجزء الاول صفحة (٣٦) ان ابا الحسن علي بن محمد بن علي الملقب بعباد الدين المعروف بـ (الكيا الهراسي) قال في تعليقه في اصول الفقه :

(... وذلك لان الانسان لما لم يكن مكتفيا بنفسه في معاشه ومقيمات معاشه لم يكن له بد من ان يسترفد المعاونة من غيره ، ولهذا اتخذ الناس المدن ليجتمعوا ويتعارفوا ، وقيل : ان الانسان هو التمدن بالطبع والتوحش دأب السباع ولهـذا المعنى توزعت الصنائع وانقسمت الحرف على الخلق ، فكل واحد قصر وقته على حرفة يشتغل بها لان كل واحد من الخلق لا يمكنه ان يقوم بجملة مقاصده فحينئذ لا يخلو من ان يكون محال حاجته حاضرة عنده او غائبة بعيدة عنه فان كانت حاضرة بين يديه امكنه الاشارة اليهـا وان كانت غائبة فلابد له من ان يدل على محل حاجاته وعلى مقصوده وغرضه ، فوضعوا الكلام دلالة) .

(٤) المصطلحات العلمية في اللغة العربية : مصطفى الشهابي ، صفحة(٣) والتعريف هنا مجازى ولا يقتصر على الكلام وحـده ، بل يشمل ضروب التعبير .

(٥) مقدمة بن خلدون ــ طبعة دار الكشاف صفحة (٥٤٦) .

ويرى الاستاذ ساطع الحصرى[1] ان اللغة « تعتبر من اهم الروابط المعنوية التي تربط الفرد البشرى بغيره من الناس ، لانها اولا واسطة التفاهم بين الافراد ثم هي فضلا عن ذلك آلة التفكير ، لان التفكير حسب تعريف احد الحكماء ما هو الا تكلم باطني والتكلم انما هو نوع من التفكير الجهرى[2] واخيرا ان اللغة هي واسطة لنقل الافكار والمكتسبات من الاباء الى الابناء ومن الاجداد الى الاحفاد » .

وحين اصبحت دراسة اللغة ، دراسة علمية اركانها الاستقراء الكامل للانسان وتركيبه ودوافعه النفسية ، حصلنا على تعريف جديد للغة[3] ، ذلك هو ان اللغة ظاهرة اجتماعية بسيكولوجية مكتسبة ، لا صفة بيولوجية ملازمة للفرد وتتألف من مجموعة رموز صوتية لغوية اكتسبت بالاختيار معاني مقررة في الذهن . وعلى ذلك تكون اللغة شيئا مركبا تتصل دراسته بعلم الطبيعة لانها مكونة من اصوات وبعلم وظائف الاعضاء لان تلك الاصوات تولدها حركات عضلية وتدركها الاذن ، وبعلم النفس لان اعطاء الاصوات دلالات خاصة امر يرجع الى حقائق نفسية .

وللدكتور محمد السعران[4] رأى في تعريف اللغة ووظيفتها يكاد

---

(١) اراء واحاديث في الوطنية والقومية : ساطع الحصرى (ص/٢٦) .

(٢) لفلاسفة المعتزلة رأي في التكلم الباطني ملخصه ان عملية التفكير ما هي الا حديث النفس ، ولكن هذا الحديث الباطني او بمعنى اخر الفكر هو ما تعبر عنه اللغة ، اى ان اللغة دلالة تدل على الفكر واداة تعبر عنه وليست هي الفكر نفسه وهذا يناقض ما جاء به الحصرى من ان الكلام هو نوع من التفكير الجهرى وان كان قد دعاها « آلة » في اول كلامه (فلسفة المعتزلة : الدكتور البير نصرى نادر ج/٢ ص/٥٣) .

(٣) محاضرات في اللهجات واسلوب دراستها : الدكتور أنيس فريحه (ص ١١) و « منهج البحث في الادب واللغة » ترجمة الدكتور محمد مندور .

(٤) راجع كتابه « اللغة والمجتمع ، رأى ونهج » الصفحات (٣ـ٧) .

يختلف كل الاختلاف عن الاراء السابقة فهو يرى ان علم اللغة يجب ان يدرس مستقلا عن غيره • لقد قامت دراسات لغوية عديدة على اساس انها فرع من الفلسفة او فرع من علم النفس او فرع من الانثروبولوجيا الاجتماعية فكانت الخلاصة التي توصلت اليها تلك الدراسات هي ان اللغة وسيلة للتعبير عن الافكار والعواطف والرغبات او وسيلة لتوصيل الافكار ، وان اصحاب تلك الدراسات على اختلافهم يرون أن :

١ ـ الوظيفة الاساسية للغة هي انها وسيلة من وسائل (الاتصال) او (التوصيل) او (النقل) او (التعبير) بـ (الاصوات الكلامية) •

٢ـ وان ما (توصله) اللغة او (تنقله) او (تعبر عنه) هو الافكار والمعاني والانفعالات والرغبات •••• الخ او (الفكر) بوجه عام •

اى ان اللغة عند اولئك لا تعدو كونها مرآة ينعكس عليها الفكر ، او مستودعا للفكر المنعكس او وسيلة لتجسيم الفكر او التعبير عنه •

وردا على تلك التعاريف يأتي الدكتور محمد السعران برأى العالم الانثروبولوجي (مالينوفسكي) القائل بأن وظيفة اللغة ليست مجرد وسيلة للتفاهم او للتوصيل ، بل وظيفة اللغة هي انها حلقة في سلسلة النشاط الانساني المنتظم ، هي انها جزء من السلوك الانساني ، انها ضرب من العمل وليست اداة عاكسة للفكر • ووظائف اللغة التالية تبين بجلاء ان اللغة ليست ضربا من توصيل الافكار :

١ـ الكلام الانفرادى (المونولوج) باشكاله المختلفة كالقراءة الانفرادية بصوت مسموع او تدوين الملاحظات التي لا يقصد بها الا الكاتب نفسه •

٢ـ استعمال اللغة في السلوك الجماعي ، كما هو الحال في الاجتماعات الدينية كالصلاة والدعاءومخاطبة الله او المعبوداو اى كائن مقدس •

٣ـ استعمال اللغة في المخاطبات الاجتماعية التي لا تهدف الى غاية كما هو الحال في لغة التحيات ولغة التأدب ، والكلام عن حالات ظاهرة ، كالجو ، فان تبادل الكلمات في مثل الحالات السابقة غاية في نفسه •

٤ـ ومن الوظائف التي تؤديها اللغة ولا علاقة لها بتوصيل الفكر او التعبير عنه انها كثيرا ما تتخذ بين الكبار والصغار على السواء وسيلة الى اللعب بالاصوات والى التلذذ والانتشاء والسرور ، فنحن كثيرا ما نردد اصواتا وكلمات غير قاصدين الا التمتع باصواتنا والانتشاء بلغتنا ودون ان يكون لدينا ما هو جدير بالسماع •

٥ـ ومن ذلك ان اللغة كثيرا ما تستعمل لاخفاء افكار الانسان كما يحدث احيانا في لغة السياسة او لغة اللصوص والخارجين على القانون بصورة عامة •

ان الاراء التي ذكرها الدكتور محمود السعران لا تخلو من الاهمية الجديرة بالعناية غير اني أجد ان هناك غموضا يلف تلك الاراء فيبعد بها عن كونها حقيقة علمية لا تقبل النقاش • فالتعريف الذى جاء به نقلا عن العالم (مالينوفسكي) ينص على ان « اللغة حلقة في سلسلة النشاط الانساني المنتظم ، انها جزء من السلوك الانساني ، انها ضرب من العمل وليست اداة عاكسة للفكر » ان التأكيد على ان اللغة هي (ضرب من العمل) يجعلنا نتساءل عن هدف ذلك العمل والدافع له ، هل هو اعتباطي لا يقصد منه شيء ؟ وهل يخلو العمل من كونه وسيلة تستهدف غاية معينة ؟؟• ان التمثيل باستعمال اللغة في السلوك الجماعي والمخاطبات الاجتماعية او استعمالها وسيلة الى اللعب لم يخرج باللغة عن كونها وسيلة للتعبير • فالصلاة والدعاء ومخاطبة الله كما اراها تعبير عن مشاعر ذاتية خاشعة •

ولغة التحية والتأدب والكلام عن ظواهر الجو هي تعبير ايضا عن مشاعر تفرضها تقاليد المجتمع • وحتى اللغة التي هي وسيلة الى اللعب والتلذذ والانتشاء لا تخرج عن كونها تعبيرا عن الرغبة في التلذذ والانتشاء •

ولكن التعاريف وان تعددت فان اللغة في مفهومها العام وسيلة للفهم والتفاهم نفكر ونبدع في التفكير ، فنعبر عن تلك الافكار وننقلها الى الاخرين باللغة وليس المهم هو نقل الافكار الى الغير فقط ، بل ان الوظيفة الاساسية للغة هي اثار افكار وانفعالات عند السامع او المخاطب ودفعه الى العمل والحركة او التفكير ، فنحن نتكلم لا لمجرد التعبير بل اننا نبغي احداث اثر مقصود عند السامع ، وقد ادرك علماء البلاغة العرب هذه الناحية فقسموا الكلام الى خبر وانشاء ، الاول هو الكلام الذى يحتمل التصديق والتكذيب والثاني ما لا يحتمل ذلك ، ومثل هذا التقسيم يدل على ادراك حدوث استجابة السامع للكلام • وقد يغالي البعض فيعتقد ان اللغة ليست وسيلة لنقل الافكار فحسب « بل هي ميزة بين الانسان والحيوان ، فالانسان حيوان لغوى ، وللحيوان صوت ولكن للانسان لغة وفرق عظيم بين الاثنين»[1] ولكن الذى لا يرقى اليه شك هو ان الانسان يمتاز عن الحيوان لا باللغة الصوتية وحدها ، بل بطائفة من المراكز المخية التي تشرف على مختلف مظاهر هذه اللغة وقد ثبت عدم وجود مثل تلك المراكز في اية فصيلة حيوانية حتى الفصائل العليا من القردة[2] • وقديما قال الفلاسفة المعتزلة • « ان الكلام ليس نوعا من الاعراض ذا حقيقة عقلية كسائر الاعراض ، بل نطلقه على النطق الذى في اللسان بحكم المواضعة والمواطأة ، والانسان قد يخلو عنه وعن ضده وتبقى حقيقة انسانيته ، فانه انما يتميز عن الحيوان بصورته وشكله لا بنطقه »[3] •

---

(١) البلاغة العصرية واللغة العربية ـ سلامة موسى صفحة (٢١) وما هي القومية : ساطع الحصرى صفحة (٥٤) •

(٢) علم اللغة ـ الدكتور علي عبدالواحد وافي صفحة (٨٧) •

(٣) فلسفة المعتزلة ـ الدكتور البير نصرى نادر الجزء الثاني صفحة (٥٥)

وبواسطة اللغة نستطيع ان نتبع ما ينتج المفكرون من تراث خالد في الاداب والعلوم ، ثم انها عامل مساعد على تفتيق الذهن ولولاها لبقي الذهن مغلقا ولتصرف الانسان بشذوذ .

اللغة والقومية

« لا جامعة لقوم لا لسان لهم ، ولا لسان لقوم لا آداب لهم ، ولا عزة لقوم لا تاريخ لهم » ٠

جمال الدين الافغاني

اللغة بمثابة حيـــاة الامة والتاريخ بمثابـــة شعورها ٠

ساطع الحصرى

اللغــة والقومية(×)

الباحثون كلهم يتفقون على ان اللغة عنصر مهم من عناصر القومية ، حتى اصبح الاتفاق على ذلك أمرا مسلما به يأخذ به الناس دون بحث او مناقشة ، فانت حين تقرأ اى كتاب يبحث في القومية العربية مثلا تجــد انه يذكر اللغة ضمن مقوماتها الاساسية ، ومما يثير الانتباه في تلك المؤلفات وفي احاديث المعنيين بالقومية تعريفهم اللغة باعتبارها عنصرا في القوميــة ، فانهم يكادون يجمعون على ان اللغة العربية هي وسيلة للفهم والافهــام وبالتالي توحيد الافكار ، وقد شاع هذا التعريف بين المؤمنين بالعقيدة القومية فهم لذلك لا ينظرون الى اللغة الا لاعتبارها (وسيلة) لا غير • ولست اريد ان انفي عن اللغة كونها وسيلة بل أريد ان ابين ان التعريف الموجز والاشارة المبتورة الى وظيفة اللغة بتلك الطريقة يؤدى الى اضرار لا باللغة فحسب بل بالقومية ايضا • واللغة انما عدت عنصرا مهما في القومية لانها تكتسب صفة جديدة تتعدى حدود الوسيلة وتتخطاها وليس لانها وسيلة كبقيــة الوسائل • ان البحث في هذا الوجه الاخر للغة يقتضينا ان نتناول بالبحث نقطتين مهمتين ، الاولى تعريف اللغة والثانية تعريف القومية لنستطيع بعـد ذلك ان ندرك اوجه الترابط بينهما • ولقد سبق لنا في فصول سابقــة ان تطرقنا الى تعريف اللغة وذكرنا بان هناك من يقول بانها « اصوات » يعبر بها كل قوم عن اغراضهم وان جميع اللغات « اشارات » لتفاهم البشــر ، وآخرون يستعملونها مجازا في قولهم انها كل وسيلة تعبر عن فكرة او عن

(×) اللغة والقومية موضوع بحثه كثيرون ويكفي ان نشير هنا الى بعض تلك المصادر •

دفاع عن العروبة : ساطع الحصرى

مــا هي القوميــة : ساطع الحصرى

العروبة في ميزان القومية : نقولا زيادة

القوميــة الفصحى : عمر فروخ

عاطفة وفئة ثالثة تعتبر اللغة هي الفكر ذاته في حين يرى اخرون انها الاداة المعبرة عن الفكر وليست هي الفكر • وبعد ان اصبحت دراسة اللغة دراسة علمية اركانها الاستقراء الكامل للانسان وتركيبه ودوافعه النفسية حصلنا على تعريف جديد ذلك هو ان اللغة ظاهرة اجتماعية (بسيكولوجية) لا صفة (بيولوجية) وتتألف من رموز صوتية لغوية اكتسبت عن طريق الاختبار معاني مقررة في الذهن ، وعلى ذلك تكون اللغة « شيئا مركبا تتصل دراسته بعلم الطبيعة لانها مكونة من اصوات وبعلم وظائف الاعضاء لان تلك الاصوات تولدها حركات عضلية وتدركها الاذن وبعلم النفس لان اعطاء الاصوات دلالات خاصة أمر يرجع الى حقائق نفسية »[1]وعلى ذلك فان اللغة ليست وسيلة او رموزا فقط ، بل هي آداب وتقاليد ، وعادات وطرق تفكير ووسائل تعبير ولون من الوان الشعور وفلسفة في الحياة •

اما النقطة الثانية فهي تعريف القومية ، وقد اختلف الباحثون في تعريفها ايضا ، وما كان ذلك التعدد في التعاريف والاختلاف حولها الا بسبب ان البحث العلمي القائم على الدراسة العميقة والاحاطة بالموضوع لم تبدأ الا في فترة زمنية متأخرة • فمن الناس من يعتقد ان القومية شعور او عاطفة لا غير وآخر يقول انها فكرة او افتخار بحسب ونسب • ولكن التطور العام الذى تمر به الامة العربية والتفاعلات الحادة التي يجتازها المجتمع العربي اصبحت تشير كلها الى ان القومية العربية انما تعني وجود الشعب العربي • وحين نذكر كلمة (الوجود) نعني بذلك ان (الفكرة) وان (الشعور) يصيران واقعا وليس خيالا نعيشه ونتمثله وان ذلك الوجود ليس ضائعا سائرا حيث لا هدف ، بل هو وجود قائم على فلسفة واضحة لها حدودها التي تشير الى انها نابعة من هذا المجتمع لتطمئن حاجاته برسم طرق المستقبل الافضل •

---

(١) منهج البحث في الادب واللغة • ترجمة محمد مندور صفحة (٦٢)

ان التسليم بالحقيقة القائلة بان القومية العربية ان هي الا (وجود) الانسان العربي وادراكه لنفسه بعمق ووعي يتطلبان منه العمل لتحقيق انسانيته هو والاخرين ، هو الذى سيقودنا الى التساؤل ثانية فما اذا كانت اللغة وسيلة للتفاهم فحسب ام ان لها وجها آخر ؟؟ ان اعتبار اللغة العربية وهي العنصر الاقوى في القومية العربية وسيلة للتفاهم فقط أمر له خطورته الكبرى خاصة اذا علمنا ان هناك وسائل كثيرة للفهم والافهام ، فقد يتم ذلك بلغة اجنبية او قد يتم بلهجات عامية او بايجاد الفاظ محلية مبتكرة لا تجد مثيلها في منطقة اخرى فهل يصح في مثل تلك الحالات اعتبار هذه الوسائل عنصرا مهما في القومية العربية ايضا ؟؟؟ الجواب سيكون بالنفي حتما ، ومن ذلك نصل الى حقيقة اخرى هي التي اريد التأكد عليها تلك هي ان اللغة العربية الفصحى انما عدت عنصرا مهما في القومية العربية لا باعتبارها (وسيلة) للتفاهم فقط ، فنحن نتكلم لا لمجرد التعبير بل اننا نقصد احداث أثر عند السامع واثارة استجابات عديدة دافعة للحركة والعمل ، ثم ان الدراسات الحديثة في علم اللغة أثبتت ان اللغة هي حياة الامة ووجودها وانها في الحقيقة تعرض وجوه المجتمع المختلفة وعلى ذلك فانت تستطيع ان تستبين من دراسة اللغة الكثير من الاداب والعادات التي تسود مجتمعا ما ، كما تقدر ان تتعرف على الطرق التفكيرية التي يتبعها افراده وعلى خفايا شعورهم من طرق تعبيرهم ، ولم يكن بعض العلماء مغالين حين اعتبروا اللغة اصدق سجل لتاريخ الامم والشعوب اذا ما احسن تتبع مراحل تطورها ، فانت تستطيع ان تتلمس رقي الامة وانحطاطها في لغتها وانت قادر على أدراك رقيها من لغتها حيث تكثر مفرداتها وتخصب معانيها بشكل يعبر عن أدق المشاعر وعن المسميات الجديدة التي يستدعيها التطور الحضاري والتقدم العلمي ، وتكون للالفاظ مدلولات محددة لا تثير الابهام ولا تشيع الفوضى الفكرية وهكذا تكون اللغة الحية متطورة مع الحياة • وانت واجد ان اللغة في الامم المتأخرة قرينة بالتأخر ايضا

فالمفردات ميتة لا حياة فيها ومدلولاتها غير واضحة الحدود ، انما اللفظة الواحدة تتعدد معانيها بشكل يفضي الى اختلاف في فهم الاشياء والى خلط في كل المفاهيم واضطراب في المقاييس • وحين تكون اللفظة الواحدة دالة على مسميات متعددة يضطر اصحاب تلك اللغة الى استعمال بعض اللواصق او اللواحق للتفريق بين المعاني وربما تلجأ بعض الشعوب الى استعمال الحركات والاشارات اليدوية او العضوية بصورة عامة لوضع الحدود بين الالفاظ او قد تلجأ الى تغيير النبرات الصوتية في اللفظة الواحدة في سبيل ذلك •

الحقيقة ان الادلة على ان اللغة مظهر من مظاهر الحياة وليست وسيلة للتفاهم فقط كثيرة جدا ليس في الوسع التطرق اليها كلها ، غير ان ادراك ذلك يستلزم العناية باللغة العربية وايلائها كل الاهمية لانها العنصر الاقوى في القومية اذ هي مدعاة لتوحيد الافكار والمشاعر بالاضافة الى كونها تعبيرا صادقا عن (وجودنا) الذي نسميه القومية العربية • ولقد ادرك المستعمرون والشعوبيون كما ادرك المعادون للقومية العربية ما للغة العربية من تأثير بالغ في هذا المضمار فجاهدوا لاضعافها والنيل منها لان في ذلك اضعافا للقومية العربية فالتاريخ يحدثنا عن سياسة الاتراك في محاربة القومية العربية عن طريق محاربة اللغة العربية ونشر التركية ، وعن جهود الايطاليين في جعل الايطالية لغة رسمية في ليبيا وفرض الفرنسيين اللغة الفرنسية في تونس والجزائر ، وجهود الانكليز في افساد مناهج تدريسها وتبغيضها الى الطلبة •

كما أن الشعوبيين والمعادين للعروبة حاولوا مرات عديدة اشاعة اللهجات العامية ودعوا الى احلالها محل العربية الفصحى ، وقد نجحت تلك المحاولات التخريبية بعض الشيء اذا استطاع اولئك أن ينفروا البعض من الفصحى وان يرددوا معهم بانها لغةميتة وعقيمة • ولكن (الحياة) في

اللغة العربية هي التي وقفت في وجوههم وهي التي صدت هجماتهم •

وهناك مظهر آخر يشير الى الترابط الوثيق بين اللغة والقومية ذلك هو اعتزاز الامم بلغاتها • ويتجلى هذا الاعتزاز باتخاذ بعض الامم موقفا عدائيا من اللغات الاجنبية • فتعمد تلك الامم الى ايجاد الفاظ قومية تعوض لها عن الكلمات الاجنبية ، او تسعى الى تطهير لغتها من الكلمات الدخيلة عليها ، مثال ذلك تعريب الدواوين في عهد الامويين وما حدث في المانيا في اواخر القرن التاسع عشر حين سعت الدولة الى تطهير لغتها من الفاظ فرنسية كان الزمان قد طال على قبول الالمانية لها ، ثم مقاومة الالفاظ التركية الدخيلة على العربية بعد زوال الحكم العثماني •

هناك شيء آخر اود ان اقوله ذلك هو ان البعض من المؤمنين بالعقيدة العربية المكافحين من اجلها ينظرون الى القومية العربية نظرة تجزيئية فيولون الجانب السياسي منها جل اهتمامهم ويهملون عناصرها الاخرى ، في حين ان الكفاح من أجل القومية يجب ان يكون من اجل اركانها وعناصرها بلا تفضيل ، كما يجب ان نعلم ان ادراك منزلة اللغة العربية والعمل في سبيلها ليس من الامور اليسيرة التي تنال بلا كد ولا عناء • بل ان ذلك يقتضي جهدا وتعبا ، وما أظن ان النفوس التواقة للنضال المؤمنة بالكفاح ستضيق بذلك ذرعا خاصة اذا تخلت عن فكرتها التجزيئية تلك واذا علمت ان في لغتنا وآدابنا العربية وتراثنا الفكرى اشياء كثيرة تضارع في روعتها اثار الامم المتمدنة خلاف ما يدعيه المغرضون وما يلصقونه بذلك التراث من صفات هو بعيد عنها •

« واخيرا فان بعض الفلاسفة وعلماء الاجتماع ولاسيما الفرنسيين منهم يعتقدون ان وحدة اللغة عنصر مهم من عناصر الوحدة القومية ولكنهم يقولون ان هذا العمل ليس كافيا ولا ضروريا لخلق الامة ، ويتمثلون في

اثبات رأيهم هذا بامتي الولايات المتحدة الامريكية وانكلترا ، فان لهما لغة واحدة على حين انهما ليستا امة واحدة وذلك خلافا للامة السويسرية فهي امة لها ثلاث لغات او اربع • واصحاب هذا الرأى هم الذين لا يبنون بناء الامة الا على الفكرة المثالية اى على الاشتراك في الذكريات وعلى ارادة الجماعة في ان تكون امة مستقلة عن الامم الاخرى»[1] والرأى لا يخلو من اعتراف صريح باهمية اللغة في الوحدة القومية مع اعتراف باهمية العناصر الاخرى من الناحية الثانية ، وبمعنى آخر ان الرأى القائل بان اللغة وحدها هي التي تخلق الامة مبالغ فيه ، اذ لابد من اجتماع عدة عناصر نعتقد ان اللغة اقواها وادعاها الى الترابط المتين بين الافراد •

(١) محاضرات عن القومية العربية ـ تاريخها وقوامها ومراميها ـ مصطفى الشهابي •

اللّغة والمُجتمَع

في احضان المجتمع تكونت اللغة

ج • فندريس

ان الوجود البشرى ملتحم باللغة

جون لوتز

اللغة والمجتمع (×)

كان الرأى الشائع ان اللغة مجموعة اصوات يعبر بها كل قوم عن اغراضهم • وهذا التعريف يجعل من اللغة كائنا جامدا منفصلا عن الانسان كل الانفصال • في حين ان اللغة كما أثبت علم اللغة الحديث ظاهرة اجتماعية مكتسبة كبقية الظواهر تتأثر بالمجتمع وتطوراته ، وتواكبه في سيره المختلف الاتجاهات ، وتؤثر فيه قوة وضعفا • فاللغة والمجتمع متفاعلان لا ينفكان عن التفاعل أبدا ومن الخطأ والباطل ان نعتبر اللغة كائنا مثاليا يسير في تطوره مستقلا عن بني الانسان متجها نحو غاياته الخاصة[1] • فهي قبل كل شيء اداة للتفاهم الذى بدونه يصعب تكوين المجتمعات • لان الافكار التي تملأ ذهني والعواطف التي تجيش في صدرى ما كانت لتصل اليك وتؤثر فيك وتدعونا الى التآلف لولا تعبيرى عنها « باللغة » • ولولا هذا التعبير لباعد بيننا حاجز لا يزيله استعمال الاشارات المبهمة والاصوات الخرساء ولذلك نجد ان المرء اذا عاش بين قوم لا يحسن لغتهم تعاظم شعوره بالغربة والوحدة ، وانه متى وجد من يتكلم بلسانه سعى اليه سعي المشتاق وآلفه بكل يسر •

وللغة ارتباط وثيق بحضارة المجتمع ، فاذا اتسعت حضارة أمة من الامم وازدهرت وكثرت حاجاتها وتعددت مرافق حياتها ، نهضت لغتها ، فتكثر مفرداتها ويتغير تركيبها في سبيل التعبير عن المسميات والافكار الجديدة التي احدثها التمدن والتحضر ، اما اذا تخلفت الامة حضاريا

(*) تناول الدكتور علي عبدالواحد وافي هذا الموضوع بتفصيل في كتابة (اللغة والمجتمع) وكذلك الدكتور محمود السعران في كتابه (اللغة والمجتمع – رأى ومنهج) •

(١) اللغة : ج • فندريس ترجمة عبدالحميد الدواخلي ومحمد القصاص (ص ٣)

واستكانت لجهل يخيم عليها ، فان لغتها ستكون رفيقة لذلك التأخر والتخلف فتراها ركيكة التركيب ، قليلة المفردات ، غير محددة المعاني ان لم نقل انها عقيمتها . وما عجز اللغة العربية عن اللحاق بالتقدم العلمي في هذا العصر الا مظهر من مظاهر تأخر المجتمع العربي ذاته . واللغة مرآة المجتمع ، لانها كما قلنا ليست الفاظا فحسب ، بل هي اداب وعادات وعرف وتقاليد وطرق تفكير ولون من الوان الشعور علاوة على كونها وسيلة من وسائل التعبير ، ولذلك تعتبر اللغة اصدق سجل لتاريخ الامم والشعوب اذا ما أحسن تتبع مراحل تطورها ودرس خصائص كل مرحلة[١] ، فالصحراء بخشونتها وقسوتها واثر ذلك في نفوس ساكنيها ، والعشيرة واهميتها لدى الفرد ومركزه هو في العشيرة والروابط الاجتماعية وغيرها بين الافراد وبين القبائل ، كل هذه الامور تكون واضحة الخطوط اذا ما قرأنا الادب الجاهلي - باعتباره وعاء اللغة - وأمعنا النظر في الفاظه ومعانيها ، اى في لغته ، ويشرق نور الاسلام ، وباشراقه تعلو الامة العربية وتنهض من غفلتها ، فاذا بالدول الكبيرة العظيمة الشأن تخضع للامة الناهضة بعد ان دانت لحكمها ، وتزدهر الحضارة ازدهارا ملموسا في العصرين الاموى والعباسي ، فلو تلمست اثار ذلك النهوض والازدهار الحضارى في اللغة لوجدته بينا واضحا ، فقد استحدثت الالفاظ الجديدة ليدل بها على مسميات جديدة لم يعرفها العرب من قبل ، والالفاظ رقت لتلائم العيش الناعم الذى عاشه اصحاب ذلك العصر والترف الذى كانوا به يتقلبون .

واذا كان المجتمع متمسكا بالاخلاق ومكارمها رأيت لغته معبرة عن

---

(١) يقول (ج. فندريس) في كتابه « اللغة » (ص ٣٠١ ، ٣٠٢) ان السعى الى معرفة عقلية الشعب من خصائص لغته مشروع فاشل اذا راعينا وسائل البحث التي نملكها في حالاتنا الراهنة ، لان المفردات في اية لغة لا تعرض مطلقا وجوه التفكير كاملة ، ولكن مع ذلك فان اللغة تستطيع احيانا ان تعدل من العقلية وتنظمها .

ذلك خير تعبير فالامور المستهجنة يعبر عنها بالفاظ ذات ايحاء جميل كي لا يخدش السمع والذوق • ففي القرآن الكريم نجد الاشارة الى اجتماع الرجل بامرأته رقيقة ، دالة على ذوق رفيع في قوله « •• أو لامستم النساء »

واتبع المسلمون دستورهم في هذا المضمار متخذين لذلك سبيل المجاز في التعبير واستبدال الكناية بصريح القول ، وانت واجد على ذلك شواهد كثيرة في شعرهم ونثرهم • هذا في اللغة العربية ، اما في « اللغة اللاتينية فانها لا تستحي ان تعبر عن العورات والامور المستهجنة والاعمال الواجب سترها بعبارات مكشوفة ولا ان تسميها باسمائها الصريحة »[1] • ولقد ادرك علماء التربية اثر اللغة في شخصية المرء وخلقه خاصة في مرحلة الطفولة التي فيها ترسم الخطوط الرئيسية للشخصية فقالوا « ان اللغة عامل مهم في توجيه الطفل • لانها مسيطرة على العادات ، وبدون هذه السيطرة تصبح هذه العادات متهورة خداعة »[2] •

مما لاشك فيه ان تكرار استعمال الالفاظ الجميلة امام الاطفال يبذر في نفوسهم بذور الخير ، وفي عقولهم افكارا رفيعة وجميلة وبذلك نحصل على شباب له من ضميره وازع ورادع ، لا نكلف انفسنا ارغامه على سلوك نهج معين ، لا ترضاه نفسه لما بينها من تضاد ، فيحابي ويداجي ما شاءت له المحاباة والمداجاة ، او يجاهر بافكار السيئة فيكون داءً ينخر جسم المجتمع ، فنقع عليه باللوم والعقاب ونتجاهل نحن جنايتنا •

يقول الاستاذ أحمد أمين[3]« مما لا شك فيه ان هناك ارتباطا وثيقا بين اللغة والخلق ، فلست تجد في لغة اجنبية من الفاظ الملق وعباراته ما تجده في

(١) اللغة والمجتمع : الدكتور علي عبدالواحد وافي (ص ١٣)
(٢) اللغة عند الطفل : صالح الشماع (ص ٣٤)
(٣) فيض الخاطر : احمد امين الجزء الاول صفحة (١٩٣)

اللغة العربية مما أدخله عليها الفرس والاتراك ، ولا تجد من عبارات الحشو التي تدل على الذل والخضوع ما تجد في لغتنا العربية الحديثة • كانت اللغة ديمقراطية شريفة نبيلة يوم كانت العربية لغة الديمقراطيين الذين لا يفرقون كثيرا بين مخاطبة الامير ومخاطبة بعضهم بعضا ثم اصبحت لغة العبيد يوم تسرب الى اهلها الذل والعبودية » •

فالمعروف اننا نستعمل ضمير الجمع عند مخاطبة من هو اعلى شأنا ورتبة ، اى ان المستويات الاجتماعية اصبحت تؤثر في اللغة فنقول « انتم ، سيادتكم ، حضرتكم ••• الخ » اما في اللغة الانكليزية فان للمخاطب ضميرا واحدا مهما تباينت المستويات الاجتماعية فالضمير you وهو المستعمل دائما الا في بعض الحالات النادرة في الخطابة والشعر والكلام الديني فانهم يستعملون الضمير Thou مع المخاطب المفرد تعظيما واجلالا اما في الافرنسية فيستعمل ضمير المخاطب المفرد Tu مع الاصدقاء والمعارف ويستعمل ضمير الجمع Vous مع الغرباء او ممن هم اعلى رتبة في السلم الاجتماعي • وتجد مثل هذا الاختلاف في استعمال الضمائر في اللغة الالمانية واليابانية والكورية بصورة واضحة •

واللغة لا تعرض الوجه الاخلاقي للمجتمع فقط • بل تعرض وجوهه المختلفة فالمجتمع العربي انما كان مجتمع رحلة ومرعى[1] • وصفات ذلك المجتمع تنعكس في لغته • فالالفاظ الدالة على الجماعة في العربية لا تخلو من اصول تمتد الى تلك الصفات •

---

(١) للاستفاضة راجع كتاب « اللغة الشاعرة » للاستاذ عباس محمود العقاد •

فالامة هي الجماعة التي (تؤم) مكانا واحدا •

والشعب هي الجماعة التي تتخذ لها (شعبة) واحدة من الطريق •

والفئة هي الجماعة التى (تفيء) الى ظل واحد •

والمجتمع الاقتصادي النزعة يعكس هذه الصفة على لغته ايضا • فتجد ان التعبير عن الامور الحيوية العامة يتم بألفاظ اقتصادية الطابع ففي الانكليزية مثلا :

To pay Visit.

وترجمتها « دفع » زيارة بدلا من رد زيارة

ويقال ايضا :

The watch gains or loses.

وترجمتها الساعة (تربح) او (تخسر) بدلا من الساعة تقدم او تؤخر ولغلبة المادة على المجتمع الامريكي تجد ان بعض اساليبهم الكلامية مطبوعة بالطابع المادى ايضا ، فاذا عجب احدهم بفتاة جميلة واراد الافصاح عن اعجابه ذاك قال :

She is beautiful lik a million dollars.

بل انك واجد ان لكل حرفة وصنعة (لغة) خاصة ، والفاظا لا يفهمها الا اصحاب تلك الصنعة ، فالتجار لهم لغتهم والفاظهم الخاصة ، والصاغة والكيالون والقصابون والقضاة والشقاة ••• الخ كل هؤلاء يبتكرون الفاظا جديدة لصناعتهم او انهم يعطون بعض الكلمات معاني جديدة لا يدركها الا من له صلة بصناعتهم •

وكلما كانت مفردات اللغة واضحة ومعانيها ذات مفاهيم واحدة ودلالات صادقة وعميقة كان ذلك ادعى الى توحيد الامة فكريا وبالتالي اجتماعيا وسياسيا ، وإن كانت مفردات اللغة مبهمة ومعانيها متعددة ازداد التفاوت بين الجماعات ، واختلفت

المقاييس حتى لا نستطيع التفريق بين الخير والشر ، ويشترك المجتمع في اظهـار ما ذكرناه فان تبـاين الامة ثقافيا وسياسيا واجتماعيا يؤدى الى ان تكون مفردات اللغة مختلفة الايحاء اختلافا يتناسب مع تباين الطبقات في ثقافتها وحالتها الاجتماعية والاقتصادية[١] • خذ لفظة الـكاذب مثـلا تجد انها لا تثير اى انفعال او تأثير لدى شخص من طبقة او فئة اعتـادت الكذب ، ولكن اللفظة نفسها تكون شديدة الوقع وتعد نابية اذا وصف بها شخص وطن نفسه على الصدق • ولفظـة (الثورة) تعني الفتنة والعصيان والتمرد عند الفئة الطاغية المستبدة التي لا تريد للشعب تحررا وخلاصا ، ولكنها تعني عند الشعوب المظلومة خلاصا من الجور وانطلاقا نحو حيـاة افضل ، فهي لذلك توحي اليهم بالامل وتفتح امامهم افاقا واسعة •

ويشترك المجتمع في بعث الحياة في كلمات نسي الناس استعمالهـا وفي اماتة كلمات انتشر استعمالها •

ففي العراق الملكي كانت الالفاظ « الملكية » «العرش » « الوصاية » « صاحب المعالي » « صاحب الفخامة » « الدوحة الهاشمية » تسير على الالسن بشكل واسع • حتى اذا جاءت ثورة الرابع عشـر من تموز ، عطلت تلك الالفاظ وبعثت الحياة في الفاظ جديدة هي : « الجمهورية » ، « صـاحب السيادة » « حـكم الشعب » ، « الحريات الديمقراطية » ، « الاصـلاح الزراعي » ، « نقابات العمال » « حقوق الفلاحين » ••• الخ

وفي الهند الحديثة اعيدت تسميـة حيوان ضخم يعرف بـ (البقرة الزرقاء) فسمي بـ (الحصان الازرق) لكي لا يذكر اسمه الناس بالبقرة

(١) يرى ستالين ان الطبقات كلها تشترك في لغة واحدة باعتبارها وسيلة « حول الماركسية في علم اللغة » صفحة (١٦) •

المقدسة عند قتله لصيانة المحاصيل[1] .

وحين تنتهج حكومة ما سياسة معينة نجد انها تسعى الى تنوير الناس بسياستها عن طريق الصحف والاذاعة والمؤلفات مؤكدة على مفاهيم معينة وبالفاظ خاصة ، وبذلك تنتشر تلك الالفاظ بين الناس ويتداولونها بلا عسر خير مثال على ذلك ما يجري في الجمهورية العربية المتحدة ، فلقد تبنت الحكومة الاتحاد القومي ، والديمقراطية التعاونية والاشتراكية الى غير ذلك من الامور واننا نجد الان تلك الالفاظ واسعة الانتشار بين الناس هناك .

فللغة اذن صلة وثيقة بالفكر الانساني ، وهي ان كانت منظمة ساعدت على تنظيم الفكر ، كما ان الفكر المنظم يعمل على تنظيم اللغة ، فلقد اثبتت التجارب والاختبارات التي اجراها علماء النفس على وجود معامل ارتباط ايجابي هام بين نتائج قياس الذكاء والقدرة اللغوية[2] كما لاحظ البعض ان اللغات المختلفة تبدو متضمنة لمواقف مختلفة ، اذ يقال ان الطراز الانجليزى مادى استنتاجي والفرنسي تصميمي استدلالي والروسي ايحائي تخصيصي[3] .

---

(١) كتاب آفاق المعرفة فصل علم اللغة تأليف جون لوتز ترجمة الدكتور صفاء خلوصي صفحة (٣٢١) .

(٢) اللغة العربية واصولها النفسية وطرق تدريسها : الدكتور عبدالعزيز عبدالمجيد الطبعة الاولى (صفحة ٥٢) .

(٣) افاق المعرفة صفحة (٣٢٠)

تَطوّرُ اللّغَة

كل لغة وليدة لتطور تاريخي .

مايــــــه

تطـور اللغـة

يقول الاستاذ ماييه : ان كل لغة وليدة لتطور تاريخي تدخل فيه مؤثرات عديدة ومختلفة[١] وقد تعرضنا في الصفحات السابقة بايجاز لبعض تلك العوامل المؤثرة في اللغة ، ونتيجة لذلك نستطيع القول بانه ما من فرد من الافراد يستطيع القول بانه قادر على ان يقف دون تطور لغة من اللغات او يحولها عن مجراها ، لان اللغة كما ذكرنا تخضع وتتأثر بعوامل تعترى المجتمع ولا تتغير بعوامل فردية • فمن اراد تسيير اللغة في مجرى معين فعليه ان يسير بالمجتمع في مجرى معين اولا ليبلغ قصده ، وان على من يحاول اصلاحا لغويا ان يعمد الى دراسة حياة اللغة وكيفية تطورها والقوانين التي تخضع لها في حياتها حتى يتبين له الممكن من المستحيل ، وما يتفق مع طبيعة اللغة وما يتنافر معها لكي تأتي اصلاحاته بالغرض المنشود • وهذا يدفعنا الى القول بان الدعوة الى انشاء لغة عالمية ان هي الا دعوة فاشلة ، لان تلك اللغة المصطنعة سوف تتأثر ايضا وتخضع لقوانين المجتمع المختلفة ، فتعدد لهجاتها وتتباين معاني الفاظها ، فتفقد بذلك الغاية التي من اجلها وضعت •

لقد ذكرنا ان اللغة ظاهرة اجتماعية ، تتطور مع المجتمع وتخضع لمؤثراته وتتفاعل معه الا ان هناك عوامل بينة قد يكون لها الاثر الاكبر في تطوير اللغة وتعدد لهجاتها وتغيير معاني مفرداتها سأحاول ايجازها[٢] فيما يلي :

اولا : عوامل اجتماعية محضة ، تتمثل في حضارة الامة وقوانينها والعادات

---

(١) منهج البحث في الادب واللغة : ترجمة الدكتور محمد مندور (٩٤)

(٢) يشرح الدكتور علي عبدالواحد وافي هذا الموضوع بتفصيل في كتبه « اللغة والمجتمع » و « فقه اللغة » •

والتقاليد السائدة فيها وفي ثقافتها واتجاهاتها الفكرية •

وقد ذكرنا في الصفحات السابقة تأثير المجتمع في اللغة وتطورها ••

كما ان ثمة عاملا آخر يؤدى الى تطور اللغة ذلك هو احتكاك الشعوب بعضها ببعض ويكون الاحتكاك ناتجا عن تجاور الشعبين ، او عن تجارة واسعة النطاق • او عن سيطرة سياسية ، وهو بالطبع يؤدى الى تأثير لغتي الشعبين بعضهما ببعض وبالتالي الى اقتباس مفردات جديدة ، واحياء الفاظ ميتة ، واماتة الفاظ شائعة ويجب ان ندرك ان تأثر لغة ما بلغة اخرى يكاد يقتصر على المفردات • اما قواعد تلك اللغة واساليب الصوت فلا يمكن انتقالها من لغة الى اخرى الا بعد صراع طويل ومرير بين اللغتين ويكون انتقالها ايذانا بزوال تلك اللغة ويتبع ذلك زوال حضارة الشعب الناطق بها • وليس ادل على ما ذكرناه من احتكاك الحضارة العربية ، الذى بدأ بصورة واسعة عند الفتح الاسلامي ، بالحضارتين الفارسية والرومانية ، وما خلف ذلك من آثار كبيرة في لغات اصحاب تلك الحضارات •

وقد تكون الحركات الادبية عاملا مهما في تطوير اللغة • فان ما ينتجه الشعراء والادباء واحتذائهم اساليب معينة واستعمالهم مفردات بذاتها للدلالة على بعض المعاني ، وتاثرهم باساليب اجنبية وقيامهم بترجمة مفردات او مصطلحات اجنبية ، كل ذلك يؤثر في اللغة ، هذا بالاضافة الى المحاولات التي تبذلها المجامع العلمية واللغوية لنشر اللغة والحفاظ عليها وعلى قواعدها وتيسيرها • ونجد مصداق قولنا في العصر العباسي حيث ان النهضة الادبية واللغوية خاصة قامت بجهود الادباء الذين انتفعوا من الفارسية واليونانية وما احدثه ذلك الانتفاع من ميل الى الابتكار والتطوير في اللغة • كما ان عصرنا الحديث لا يخلو من شواهد على قولنا • اذ ان الكثير من الالفاظ الشائعة انما ذاعت بين الناس بعد ان استعملها احد الادباء او الشعراء في مقالة او قصيدة • كما اننا اصبحنا نشاهد بعض الاشتقاقات التي لم تكن

مألوفة ، وانما شاع استعمالها قياسا على استعمال احد الادباء لمثل ذلك الاشتقاق •

واللغة تكون عرضة للتطور والتغير وهي تنتقل من الاباء الى الابناء فالطفل كما هو معروف يبدأ بمحاكاة والديه في لغتهم ويأخذ في استعمال المفردات التي يستعملانها • ولما كان الابوان عرضة للخطأ في استعمال بعض المفردات في غير معناها الاصلي ، او النطق بالالفاظ بغير اصواتها المألوفة ، فان هذا الخطأ سيظهر في لغة الابناء والاجيال الاخرى •

ثانيا : عوامل غير اجتماعية : هناك عوامل اخرى غير اجتماعية تؤثر في اللغة وتسبب تطورها فاعضاء النطق مثلا غير ثابتة على حالة واحدة ، بل انها في تطور طبيعي دائمي في بنيتها واستعدادها ومنهج ادائها لوظائفها وكل تطور يحدث في تلك الاعضاء يتبعه حتما تطور في اصوات الكلمات ، فيؤدى ذلك الى انحراف الاصوات عن الصورة التي كانت عليها الى صورة اخرى تلائم التطور الذى اصاب الاعضاء المذكورة كما ان الاخطاء السمعية التي تنشأ عن ضعف بعض الاصوات تؤدى شيئا فشيئا الى سقوط تلك الاصوات حتى يتلاشى جرسها والى هذا السبب وغيره من العوامل الاخرى يرجع انقراض اصوات المد القصيرة « المسماة بالحركات والتي يرمز لها بالفتحة والكسر والضم » وحركات المد الطويلة (الالف والياء والواو) من اللهجات العامية في النطق المنشعبة عن العربية الفصحى •

اللغة العربية وقيمتها بين اللغات

اول وسيلة يظهر بها تحسس العرب بالجمـــال نلمسها في اللغة .

المستشرق «جب»

التركيب العربي غني بالوقع الموسيقى .

المستشرق « وليم مارسي »

اللغة العربية وقيمتها بين اللغات

لقد قام كثير من علماء اللغة بتقسيم اللغات الى مجموعات تتميز بصفات مشتركة • وكانت أهم تلك المحاولات هي التي قسمت اللغات الى قسمين رئيسين[1] :

١ ـ الفصيلة الهندية ـ الاوربية

ولغة هذه الفصيلة واسعة الانتشار في العالم ولها فروع عديدة هي :

(أ) اللغات الآرية بفرعيها الهندى والايراني •

(ب) اللغات اليونانية قديمها وحديثها •

(جـ) اللغات الايطالية وتشمل اللهجات التي تفرعت من اللاتينية كالفرنسية والاسبانية والبرتغالية ولغة روما •

(د) اللغات الجرمانية وهي الانجليزية والسكسونية والحديثة ، والهولاندية والالمانية ، ولغات الدانمارك والسويد والنرويج •

(هـ) اللغات السلافية وهي الروسية والتشيكية والبولونية والبلغارية الحديثة والليتوانية والبروسية القديمة •

(و) اللغات الارمنية •

(ز) اللغات الالبانية •

(ح) اللغات الكلتية التي كان ينطق بها الكلتيون وقد غلبتها الان اللغات الانجليزية والفرنسية والاسبانية وان ظلت بعض بقاياها ملحوظة في لهجات ايرلندا ومنطقة البريتون غربي فرنسا •

---

(١) للاستفاضة راجع : تاريخ اللغات السامية : اسرائيل ولفنسون
(علم اللغة) و (فقه اللغة) : الدكتور علي عبدالواحد وافي
دراسات في فقه اللغة : الدكتور صبحي صالح

٢ ـ الفصيلة الحامية ـ السامية

ولغة هذه الفصيلة منتشرة في بلاد العرب وشمال افريقيا وجزء من شرقها وهي تنقسم الى مجموعتين :

(اولا)مجموعة اللغات الحامية : ومنها المصرية وتشمل المصرية القديمة والقبطية • والبربرية وهي لغة السكان الاصليين لشمال افريقيا • والكوشيتية وهي لغة السكان الاصليين للقسم الشرقي من افريقيا ويتكلمها قسم كبير من اهل الحبشة •

(ثانيا) مجموعة اللغات السامية : ان تسمية هذه المجموعة بالسامية يرجع في الحقيقة الى ما ورد في الكتاب المقدس من ان ابناء نوح هم سام وحام ويافث ، وان من سلالتهم تكونت القبائل والشعوب • وكان العالم الالماني شلوتزر (Schlozer) اول من اطلق ذلك الاسم على تلك الشعوب ، ثم تبعه العالم الالماني ايكهورن (Eichhorn) بتسمية لغات تلك الشعوب باللغات السامية[١] •

وتنقسم اللغات السامية الى قسمين رئيسين :

(أ) الشرقية : وهي اللغات البابلية ـ الاشورية •

(ب) الغربية : وهي ذات فرعين :

١ ـ الشمالية وتشمل الكنعانية والارامية • اما الكنعانية فهي لغة القبائل العربية التي نزحت من بلاد العرب حوالى الالف الثاني قبل الميلاد (٢٠٠٠) ق•م واستوطنت فلسطين وسوريا وبعض جزر البحر الابيض المتوسط

---

(١) دراسات في فقه اللغة : الدكتور صبحي صالح : صفحة ٣٦ وتاريخ اللغة السامية لاسرائيل ولفنسون صفحة (٢) •

وتنطوي تحت هذه اللغة لهجات : اولها الكنعانية القديمة وثانيتها المؤابية وهي لهجة الذين كانوا من نسل لوط وسكنوا في الجنوب الشرقي من البحر الميت وثالثتهما الفينقية والرابعة العبرية والمقصود بها عبرية العهد القديم اذ انها تختلف عن العبرية الحديثة .

اما الارامية ، فان الدراسات التاريخية تشير الى ان اصحابها نزحوا من جزيرة العرب ايضا وسكنوا في بابل وآشور وكانت هذه اللغة قوية حتى انها تغلبت على اخواتها الشرقية والشمالية واصبحت لغة المخاطبة المستعملة في العراق وسوريا وفلسطين وما يجاورها .

٢ - الجنوبية : وهذه تشمل اللغة العربية التي تتفرع الى فرعين :

(أ) العربية الجنوبية .

(ب) العربية الشمالية .

والمقصود بالعربية الجنوبية القحطانية واهم لهجاتها .

المعينية : واهلها المعينيون الذين أسسوا مملكة قديمة في القسم الجنوبي من اليمن .

السبئية : واهلها السبئيون الذين جاءوا بعد المعينين وكانت (مأرب) عاصمتهم .

الحضرمية : واصحابها اهل حضرموت .

القتبانية : وهي اللهجة المنسوبة الى (قتبان) وكانت مملكة كبيرة تقع في المنطقة الساحلية شمال عدن .

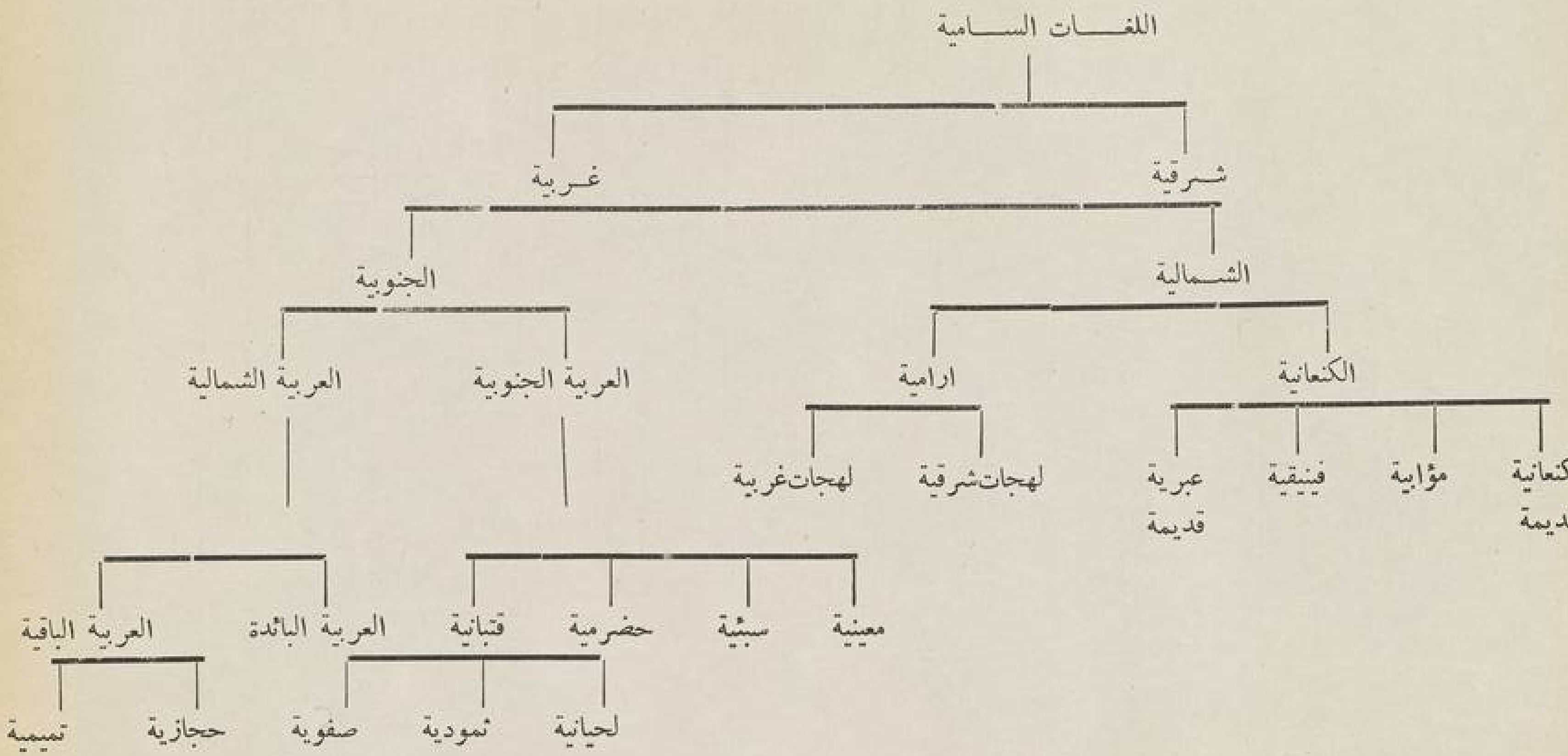
وقد كانت السبئية هي المسيطرة على اخواتها .

اما العربية الشمالية فليس من الامور اليسيرة معرفة كيفية نشأتهـــا ومراحل تطورهـــا غير ان ذلك لم يمنع العلماء مـــن تقسيمها الى فرعين كبيرين :

الاول ـ العربية البائدة والمقصود بها عربيـة النقوش التي انقرضت لهجاتها قبل ظهور الاسلام ومن اهم تلك اللهجات : الثمودية نسبة الى قبائل ثمود والصفوية نسبة الى القوم الذين سـكنوا منطقة الصفا وهي قريبة جدا الى الثمودية •

وهناك اللحيانيـــة نسبة الى قبـــائل (لحيان) التي سكنت شمال الحجاز قبل الميلاد •

الثاني ـ العربية الباقية وهي اللغـــة التي وصلتنا عن طريق النثر والشعر الجاهلي والقرآن الـكريم والحديث الشـريف ولم تكن تخلو من لهجات فرعية اهمها الحجازية والتميمية وبينهما فروق نستطيع ان نعزو اليها اكثر الخلافات والتعليلات النحوية المتناقضة •



اللغــات الســامية
شــرقية
غــربية
الشــمالية
الجنوبية
الكنعانية
ارامية
العربية الجنوبية
العربية الشمالية
كنعانية قديمة
مؤابية
فينيقية
عبرية قديمة
لهجات شرقية
لهجات غربية
معينية
سبئية
حضرمية
قتبانية
العربية البائدة
العربية الباقية
لحيانية
ثمودية
صفوية
حجازية
تميمية

مما تقدم نستطيع القول بأن لغة الضاد من اللغـات الساميات ، وان هناك علاقات متينة بين تلك اللغات الامر الذي جعل بعض الباحثين يعتقدون انها متفرعة من اصل واحد • وطبيعي ان من الصعوبة بمكان ان نحـاول تصور ذلك الاصل القديم للمجموعة الساميـة ، بالرغم من وجود الفاظ مشتركة كثيرة تدعو الى الاعتقاد بانها من بقـايا اللغة القديمـة • الا ان الرأي يكاد يجمع على ان اللغة العربية هي اقرب لغات الساميين الى اللغـة السامية القديمة ، لكونها تشتمل على عناصر لغوية ظلت محافظة على قدمها ، بالرغم من ان احبار اليهود في العصور القديمة يعتقدون ان اللغـة العبرية هي اقدم لغة في العالم[١] ، وانما حافظت العربية على عناصرها القديمـة بسبب وجودها في مناطق منعزلة عن العالم وبعيدة عما يطرأ عليـه مـن تقلبات وتغيرات يكثر حدوثها وتختلف نتائجها اختلافا مستمرا في البلدان العمرانية[٢] • وان التاريخ العربي ينبئنا بان الجزيرة العربية كان تعيش في عزلة وانفراد ، وان صلاتها بالعالم الخارجي كانت بشكل ضيق غـير مؤثر كما هو الحال في بعض المحاولات الفردية التجارية مـع سوريا • وحتى الحروب التي قد يمكن اعتبارها عاملا للاتصال لم تكن تتعدى حدود الجزيرة العربية ، فان اتسعت فهي تتسع بشكل متقطع لا يعين على الاتصال ولا يسهل الاكتساب او التأثير • وحين بدأ الاسلام يمد نفوذه ، ويتغلغل الايمان في النفوس فتحت الجزيرة ابوابها الواسعة على العالم الخـارجي وانطلقت منها الجيوش الفاتحة وودعت العزلة الى حيث لا رجعـة ، ان انفساح العرب من الجزيرة كان لابد ان يكون عاملا مهما في القضاء عـلى بعض خصائص اللغة العربية الأصلية ولكن نزول القرآن الـكريم بلسان

(١) تاريخ اللغات السامية ـ اسرائيل ولفنسون صفحة (٦)

(٢) تاريخ اللغات السامية ـ صفحة (٧) وصفحة (١٦٢)

وفقه اللغة ـ الدكتور علي عبدالواحـد وافي ـ الطبعة الرابعـة صفحة (١٢) •

عربي مبين كان حافظا للغة مما خشي عليها منه وسيبقى القرآن حافظا لها من كل طارىء • وفي هذا يقول المستشرق « يوهان فك » •

ان العربية الفصحى لتدين حتى يومنا هذا بمركزها العالمي لهذه الحقيقة الثابتة ، وهي انها قامت في جميع البلدان العربية وما عداها من الاقاليم الداخلة في المحيط الاسلامي رمزا لغويا لوحدة عالم الاسلام في الثقافة والمدنية ، ولقد برهن جبروت التراث العربي التالد الخالد على انه اقوى من كل محاولة يقصد بها زحزحة العربية الفصحى عن مقامها[1] •

وحتى بعد ان اجتاحت الجيوش الاسلامية بلاد الفرس وسوريا ومصر واصبح الاتصال بين العرب واهل البلاد المفتوحة امرا لازما لابد من حدوثه فأننا نجد ان هناك محاولات تبذلها الدولة ساعدت بصورة غير مباشرة على صيانة اللغة العربية من التأثر بلغة اهل البلاد المفتوحة • ومن امثال المحاولات المذكورة الاجراءات التي اتخذها الخليفة عمر بن الخطاب (رض) بمنع العرب من امتلاك الضياع في الاقاليم الجديدة وعزلهم عن المدن الكبيرة (عدا سوريا التي كانت قد استعربت الى حد كبير قبل الاسلام) • ان احتفاظ اللغة العربية بأصولها القديمة امر له خطورته عند الباحثين في عالم اللغات • اذ ان كثيرا من خصائص اللغات الساميات عرف بعد دراسة العربية واحوالها •

تكاد اراء الباحثين[2] في اللغات السامية تتفق على ان لها خصائص تميزها عن اللغات الاخرى[3] وتجعل منها كتلة واحدة وسنذكر ما اتفقوا

---

(١) العربية ـ دراسات في اللغة واللهجات والاساليب : يوهان فك ـ ترجمة عبدالحليم النجار (ص ٢٣٤) •

(٢) تاريخ اللغات السامية : اسرائيل ولفنسون •

(٣) اى اللغات الارية : ومما تجدر الاشارة اليه هنا ان الاب انستاس الكرملي يرى ان هناك الفاظا مشتركة بين العربية والارية وقد اثار هذا الرأى ضجة في حينه (نشوء اللغة العربية ونموها واكتمالها ـ صفحة ٧٠ وما بعدها) •

عليه مع مناقشة ما يخص اللغة العربية .

١ - ان اللغة السامية تعتمد على الحروف (Consonnes) وحدها ولا تعتمد على الاصوات (Voyelles) وذلك لا تجد فيها علامات للاصوات كما هو الحال في اللغات الآرية ، وان خلو اللغة السامية من الاصوات يقابله كثرة في الحروف[١] .

يرد الاستاذ عباس محمود العقاد على هذا الرأي بقوله :

« ليست الابجدية العربية اوفر عددا من الابجديات في اللغات الهندية الجرمانية او اللغات الطورانية او اللغات السامية . فان اللغة الروسية مثلا تبلغ عدة حروفها خمسة وثلاثين حرفا ولكنها على هذه الزيادة في حروفها لا تبلغ العربية في الوفاء بالمخارج الصوتية على تقسيماتها الموسيقية[٢] . يضاف الى ذلك ان من الخصائص الصوتية للكلمات العربية ثبات اصوات الحروف فيها على مدى العصور ، فبالرغم من التشويه والتحريف الذي طرأ على الحروف في المهجات العامية فان الحروف لازالت كما كانت منذ اربعة عشر قرنا مما يدل على الثبات والخلود فيها لا يوجب تقلب الايام وتبدل الحياة تغييره . ولكننا نلاحظ ان حروف المد هي اضعف ثباتا واقل استقرار من غيرها وذلك لانها وسيلة لتقليب المعاني دون تغيير في اصل الكلمة[٣] .

---

(١) تاريخ اللغات السامية صفحة (١٤) وعلى رأيه فيما يخص العربية الدكتور انيس فريحه في (محاضرات في اللهجات واسلوب دراستها) .

(٢) اللغة الشاعرة صفحة (٧) وما بعدها .

(٣) خصائص العربية ومنهجها الاصلي في التجديد والتوليد : محمد المبارك صفحة (١٧) .

٢ ـ ان غالبية الكلمات السامية ثلاثية الاصل ، يضاف الى اولها او اخرها حرف او اكثر فتكون من اللفظة الواحدة صور ذات معان مختلفة . وهذا الرأى ـ الذى يعتبر الاصل ثلاثيا ـ منتشر بين المعنيين بامور اللغة ، بالرغم من المحاولات التي بذلها الاب انستاس الكرملي[١] والاب مرمرجي الدومنكي[٢] لاثبات ان الاصل في اللغة العربية ثنائي ثم زيد عليه حرف ثالث .

ولكن علينا ان لا ننسى ان بمقدورنا الحصول على المعاني المختلفة ليس عن طريق زيادة حرف او اكثر على الاصل ، بل بتحريك الاصل الساكن بلا زيادة او لواصق وهذه صفة تمتاز بها العربية عن غيرها من اللغات[٣] فمن الاصل (كتب) نستطيع القول ، كَتَبَ كَتَّبَ ، كُتِّبَ ، كُتُبٌ .. الخ .

ويقول الاستاذ محمد المبارك في هذا الصدد :

ان مفردات اللغة العربية تتكون من مجموعات كثيرة وكل مجموعة منها ترجع الى اصل واحد وتشترك في جزء من مادتها وجزء من معناها في حين ان اللغات اللاتينية تغلب عليها الفردية وان الاصول المشتركة فيها ضائعة . ففي العربية تجد ان كلمة أخ وأخت في مادة (أخ و) في المعاجم العربية اما في الفرنسية فتجدها مختلفتين لا رابطة بينهما فهما :

Saeur , frere

وكذلك في الانكليزية :

Sister , brother

---

(١) نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها .

(٢) هل العربية منطقية ؟ ابحاث ثنائية الالسن .

(٣) اللغة : ترجمة الدواخلي والقصاص صفحة (١١٣) ومنهج البحث في الادب واللغة ترجمة الدكتور محمد مندور صفحة (٧٧) .

والابن والبنت في العربية من مادة (ب ن و) اما في الانكليزية فهما :

Daughter , son

والعناصر الثابتة في العربية لها اهميتها البالغة قد تكون اوضحها هي تمكين متعلمها من معرفة سائر افرادها معرفة اجمالية لما بين حروفها من حروف مشتركة وبذلك يتوفر له الوقت والجهد[1] ٠

ونتيجة لان اصل الكلمات هو (فعل) فان بعض الباحثين[2] يعتبرون ذلك سببا في اصطباغ العقلية السامية بالصبغة الفعلية ولكن مثل هذا الحكم يحتاج الى براهين واستقراء عميق لعقليات الشعوب السامية ولغاتها قبل اطلاقه ٠

٣ ـ ليس في اللغات السامية اثر لادغام كلمة في اخرى حتى تصير الاثنتان كلمة واحدة دالة على معنى مركب من معنى كلمتين مستقلتين كما هو الحال في اللغات غير السامية ٠ وهذه الظاهرة هي سبب وجود الاعراب في اللغة العربية ٠ هذا ما يقرره اسرائيل ولفنسون[3] بلهجة الواثق المملوء يقينا ، في حين ان اللغة العربية وهي المحتفظة بالاصول القديمة لا تخلو من هذا الادغام الذى يشير اليه ولفنسون وهو ما ندعوه بالنحت[4] وان كان قليل الاستعمال ٠ ثم ان الاعراب

---

(١) خصائص اللغة العربية ومنهجها الاصيل في التجديد والتوليد الصفحات (٢٦ ـ ٣٠) ٠

(٢) هذا رأى اسرائيل ولفنسون الخاص في كتابه تاريخ اللغات السامية صفحة (١٤) ٠

(٣) المصدر السابق : صفحة (١٥) ٠

(٤) في كتاب (تجديد العربية) للاستاذ اسماعيل مظهر بحث واف عن النحت في العربية وبعض الاقتراحات لتوسيع هذا الباب ٠ كما ان للاب الكرملي اراء قيمة في النحت (المباحث اللغوية في العراق ـ مصطفى جواد) وكذلك الدكتور ابراهيم السامرائي في كتابه (دراسات في اللغة) ٠

ميزة واضحة في اللغة العربية دون سائر اخواتها وهذا لا يجوز اطلاق القول بالنسبة للغات السامية كلها .

٤ - ويرى البعض[١] ان الامم السامية تميل في اساليبها الكتابية الى المحافظة على القديم وعدم الرغبة في احداث اى تغيير او تحويل . ولذلك كثرت القيود وظهر الجمود في اساليب الكتابة عند الامم القديمة منها والمتأخرة .

ويبدو واضحا ان هذه الميزة ليست في جوهر اللغة . بل هي تنتج عن جمود الامة نفسها وعدم ميلها الى التجديد . هذا بالاضافة الى ان الباحثين[٢] في علم اللغات يتفقون على ان اساليب الكتابة لا تساير لغة الكلام في تطورها وهذا رأى ينطبق على اللغات كلها وليس على السامية فقط .

٥ - يرى البعض انه ليس في السامية اى وسيلة للتمييز بين ازمنة الفعل المختلفة . ولكننا مع ذلك ندهش عندما نرى فيها هذه المجموعة الكبيرة من الوسائل التي تعبر عما بين الفعل والفاعل من صلات للتعبير عن السببية والكثرة والرجاء والتمنى والامر والمفاعلة والمطاوعة اما الزمن بمعناه الحقيقي فلا يوجد منه في اللغات السامية الا اثنان : التام وغير التام . وهما يدلان على انتهاء الحدث او عدم انتهائه . ففي اللغة العربية يعبر الفعل المضارع (غير التام) عن الزمن الحاضر والمستقبل ويعبر الفعل الماضي (التام) عن الزمن الماضي[٣] .

ولنترك للاستاذ عباس محمود العقاد[٤] الرد على الرأى السابق وهو في معرض الكلام عن قيمة الزمن في اللغة العربية .

---

(١) تاريخ اللغات السامية : اسرائيل ولفنسون صفحة (١٧) .

(٢) اللغة : فندريس ترجمة الدواخلي والقصاص صفحة (٤٠٥و٤٠٨)

(٣) اللغة : فندريس ترجمة الدواخلي والقصاص صفحة (١٣٧) وعلى هذا الرأى الدكتور ابراهيم السامرائي في (دراسات في اللغة) .

(٤) اللغة الشاعرة صفحة (٧٠) وما بعدها .

حيث يرى ان اللغة العربية من ادق اللغات السامية وغيرها في التعبير عن الزمن • فهناك الفاظ لكل لحظة من لحظات الليل والنهـــار كالبكرة والضحى والغدوة والظهيرة والقائلة والعصـــر والاصيل والمغرب والعشاء والهزيع الاول من الليل والهزيـع الاوســـط والموهن والسحر والفجر والشروق • وكل موسم من مواسم السنة لـــه اسمه فيما يخص المرعى والانتجاع وطلب الماء او التجارة • بل تجد للاوقات كلمات مختلفة عـــلى حسب الطول والقصر في المدة ، فهناك اللحظة واللمحة ، والبرهة والردح والفترة والعهد والدهر •• الخ •

وانما اهتم العرب بالزمن الماضي لان المـــاضي مستودع المفـــاخر والانساب والشارات والسوابق والذكريات • اما الزمن الحاضر فلا غرابة في العناية باجزائه وتقسيماته لان كل لحظة منه ذات شـــأن في الحركـــة والاقامة والمرعى والتجارة وفي الحرب والامان وفي العربية دلالات عـــلى ذلك وتلك الدلالات تأتي على اسلوبين : الاول الصيغ التي تأتي من تصريف الفعل للدلالة على المستقبل الانشائي كفعل الامر • فانه في اللغة العربيـــة مخصص بصيغتين لهذا المعنى بغير لبس في الزمن و لافي الفاعل فيقول العربي اكتب ويفهم مـــن ذلك ان الـــكتابة مطلوبة للمستقبل • فاذا عبر المتكلم بالانجليزية عن هذا الفعل فترجمة اكتب فيها (Write) وهي تدل على مجرد الـــكتابة بغـير زمن محـــدود ، ولا تتخصص لمعنى الامر الا اذا قيـــل (You should write) مثلا •

اما الاسلوب الثاني فهو اسلوب الدلالة عـــلى الزمن بالتعبيرات التي تدخل في عداد الجمل والتراكيب فقد ينسب القول مثلا الى احد من الناس كأنه عادة كان يأتي بها في غير زمن محدود فيقول : انه كان يقول او انـــه تعود ان يقول ••

واذا نظرنا الى الافعال العربية وتصريفها لوجدناها ادل على التطور والارتقاء من لغات اخرى تحسب في طليعة اللغات دقة واداء للمعاني الذهنية فمن علامات التطور في العربية ان الفعل الماضي هو الاصل فيها ومنه يأتي المضارع • وفي لغات اخرى تعد راقية يشيع استعمال المضارع اولا ومنه يشتق الماضي باضافة حرف او مقطع او تغيير في الصيغة ، وتلك صفة للانسان البدائي • فالانسان البدائي يتكلم كانه يصور على الطريقة الهيروغليفية • فيرسم الحاضر المشاهد في اثناء العمل • ويريد ان يعبر عن الكتابة فيرسم انسانا في اثناء عمل الكتابة ، اى في الزمن الحاضر المضارع للرؤية ، فاذا اراد ان يعبر عن الماضي اضاف الى الصورة علامة تدل على حدوثها فيما مضى او اضاف اليها صورا تتمم معناها بحيث يفهم منها المضي • ومن علامات التطور في اللغة العربية ان تكون التفرقة بين الزمنين فيها فلسفية منطقية فضلا عن التفرقة النحوية • ففي اللغات التي توصف بالرقي ينقسم الفعل الى ماضي وحاضر ومستقبل • على حين ان الحاضر شيء تبحث عنه فلا تجده او تجده على الدوام متصلا بالمستقبل لا ينفصل عنه لحظة من اقصر اللحظات • وهذا الفارق الرقيق موجود في تقسيم الافعال في اللغة العربية • لانها ماضي ومضارع يدل على الحال متصلا بالاستقبال وقد فطن الى هذا عالم في المباحث اللسانية هو الدكتور « اوتو جسبرسن » فقد ذكر في كتاب « اصول الاجرومية الانكليزية » : «ان لنا ــ على الاصح ــ ان نحسب ان الزمن ينقسم الى جزئين : ماض ومستقبل • وبينهما حد الانفصال وقت حاضر كأنه النقطة الهندسية التي لا طول لها ولا عرض ولا ارتفاع ولكنها على الدوام منصوبة الى المستقبل » • وهذه التفرقة الفلسفية المنطقية ملحوظة في التفرقة الاجرومية بين الحاضر والمستقبل في اللغة العربية فاذا اراد المتكلم ان يذكر المستقبل بشتى معانيه فهو موجود بمعنى الاستمرار وبمعنى الدلالة على ما يأتي وبمعنى الانشاء واستحداث الفعل على الطلب • نصيغة المضارع تدل على الحال والاستقبال وصيغة المضارع

مسبوقة بالسين تدل على المستقبل القريب ، ومسبوقة بـ (سوف) تدل على المستقبل البعيد • وصيغة الامر تدل على فعل مطلوب في المستقبل يقترن بالزمن عند حصوله : أمرته ففعل ، وليس هذا فحسب بل هناك امثلة كثيرة في اللغة العربية تدل على اهمية الزمن عند العرب ووضع القواعد الدقيقة للتمييز بين الازمان المختلفة •

٦ ـ ويرى العالم (ج•فندريس)[١] ان هناك فرقا بين الفعل والاسم في اللغات الاخرى بينما اللغات السامية لا تملك مثل هذا التمييز هو في سبيل التدليل على صحة رايه يذكر ان اللغة العربية مثلا ملأى بالعلامات المشتركة بين التصريفين الاسمي والفعلي ، اذ نرى ان النهاية •• (ـون) التي تستخدم في المضارع المسند الى الشخصين الثاني والثالث المذكرين في حالة الجمع ، تستخدم ايضا علامة للجمع في كثير من كلمات تلك اللغة مثل :

يخرجـ (ون)

ومعلمـ (ون)

وفي حالة المثنى تستخدم لنفس الشخصين المتقدم ذكرهما العلامة (ان) التي هي علامة الاسم المثنى الوحيدة مثل :

يخرجـ (ان)

ومعلمـ (ان)

كما يجد ان هناك توافقا غريبا بين الحالات الاعرابية الثلاث (حالة المسند اليه وحالة المفعول المباشر وحالة المفعول غير المباشر) وبين حالات المضارع الاعرابية الثلاث (المرفوع والمنصوب والشرطي او المجزوم) • وان هذا التشابه يمس جوهر الاشياء وليس ظاهرها فقط •

---

(١) اللغة ـ ترجمة الدواخلي والقصاص (ص : ١٥٨) •

الواقع ان اطلاق اقول عاما بهذا الشكل غير صحيح • فان التفريق بين الاسم والفعل في العربية واضح في جوهر اللفظتين ، امـا العلامـات التصريفية فهي طارئة على الكلمة ، ولكنها مع ذلك ثابته في دلالتها عـلى الجمع او المثنى بغض النظر عن الكلمة التي الحقت بها • فانت حين تقول « مسافرون » لا تجد المعنى نفسه في قولك يسافرون • وان كان الفعـل المضارع مشابها للاسم ، وقد سمي مضارعا لمشابهته تلك ، فان تلك المشابهة تنعدم بين الفعلين المـاضي والامر وبين الاسم ، ولا يقرب بينهما تشابـه العلامات التصريفية ، على ان المضارع وان شابه الاسم فهو مختلف عنـه بكونه يدل على حدث وزمن وليس الاسم كذلك •

اننا لا نستطيع القول بان في امكاننا استعمال الفعل مكان الاسم دون الشعور باى فرق صوتي او املائي او معنوى • فان الاذن تدرك الفرق بين قولنا :

اسكت و سكوتا

ويعلمان و معلمان

ولكن الذى لاشك فيه ان الحكم الذى اطلقه فندريس ينطبق تمـام الانطباق على اللغة الصينية والانكليزية فكلمة (نار •• Fire) يمكن ان تكون اسما وفعلا وموضع الكلمة في الجملة هو وحده الذى يشير الى اى الاثنين نقصد • والكلمة المذكورة بوصفها اسما يمكن ان تقوم بدور الصفة او الاسم على السواء • وبوصفها فعلا لا تعين على التمييز بين المبني للمعلوم والمبني للمجهول فانت تقول :

Put a (fire) in my room.

ضع نارا في غرفتي

I (fire) my room.

وانا اوقـد غرفتي

A (fire) fly. وذبابـــة ناريـة

وكـــذلك

حـــاجب

Frown

يعبس الحاجب

To frown

اللغةُ العربيّة

محاسِنُها وعُيُوبها

« اللغــة العربيــة »

محاسنها وعيوبها

بشأن اللغة العربية انقسم الباحثون الى قسمين ، قسم يرى ان اللغـة العربية أرقى اللغات واوسعها واغزرهن مادة لكثرة مفرداتها وتعدد صيغها ومرونتها وقسم لا يرى ذلك ويرى ان ما تقدم من مزاياها عيوب . وسأحاول عرض اراء الفريقين بايجاز عسانا نخلص من ذلك الى رأى معتدل مقبول .

يرى السيوطي[1] أن « لغة العرب افضل اللغــات واوسعها » ويورد مميزات يراها دليلا على افضلية العربية مثل :

١ ـ كثرة المفردات والاتساع في الاستعارة والتمثيل .

٢ ـ قلب الحرف مثل قولنا (ميعاد) بدلا من (موعاد) وكذلك الادغام وتخفيف الكلمات بالحذف .

٣ ـ الاعراب وهو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ وبــه نستطيع التميز بين الفاعل والمفعــول وبين التعجب والاستفهــام والنعت والتأكيــد .

٤ ـ التعويض ، وهو اقامة الكلمة مقام الكلمة كاقامة المصدر مقام الامر ، والفاعل مقام المصدر مثل « ليس لوقعتها كاذبة » أى تكذيب والمفعول مقام المصدر مثل : (بايكم المفتون) أى الفتنة ، والمفعول مقام الفاعل مثل : حجابا مستورا أى ساترا .

٥ ـ التقديم والتأخير ، كما هو الحال في تقديم الخبر على المبتدأ والمفعول عــلى الفاعل .

ونستطيع ان نضيف الى ما اورده السيوطي ميزات اخرى تلك هي :

---

(١) المزهر للسيوطي الجزء الاول ، الطبعة الثالثة (ص ٣٢١ـ٣٣٧) .

١ ـ انها أكثر اخواتها احتفاظا بالاصوات السامية • وزادت عليها باصوات لا وجود لها فيها كالثاء والذال والغين والضاد علاوة على ان مجموع اصوات حروفها بسعة مدرجها الصوتي سعة تقابل اصوات الطبيعة في تنوعها وسعتها ، ذلك ان الحروف العربية تتدرج وتتوزع في مخارجها ما بين الشفتين من جهة واقصى الحلق من جهة اخرى(١) •

كما ان اللغة العربية تعد من اوسع اخواتها السامية في قواعد النحو والصرف وأدقها ، وقد انفردت بصيغ التصغير دون اخواتها ، مع كثرة في مفرداتها •

٢ ـ ان الممعن في العربية يلاحظ وجود روابط صوتية بين الكثير من الالفاظ ومعانيها • فكثير من الالفاظ الدالة على صوت او فعل معين تشابه اصواتها اصوات الظواهر التي تعبر عنها مثل :(٢)

الولولة ، القهقهة ، الدندنة ، الصراخ ، التنحنح ، الفرقعة ، الهمهمة ، التاوه ، اللغط ، البسملة ، القرقرة ، الزمجرة ، الشهيق ، زقزقة العصفور ، نقيق الضفدع ، الشخير ، طنين الحشرات ، صهيل الحصان ، نهيق الحمار ، نباح الكلب ، نعيق الغراب ، هزيم الرعد أزيز المرجل ، صرير القلم ، خفق النعل ••• الخ •

٣ ـ ومن ميزات العربية الاشتقاق وهو ضروب • فانت تشتق من الفعل (فهم) : أَفهَمَ ، أُفْهِمَ ، فهّم ، تفاهم ، فاهم ، فهامة ، مفهوم ، فَهِمْ فهيم ، مُفَهّم ، استفهم ••• الخ •

---

(١) للتوسع يراجع كتاب « خصائص العربية ومنهجها الاصيل في التجديد والتوليد » محمد المبارك صفحة (١٦) وما بعدها •

(٢) فقه اللغة للثعالبي صفحة ٣١٤ ـ ٣٢٤ •

وفي كل اشتقاق معنى جديد يغاير الاخر ولكنه يتفق معـــه في الاصل • ووجود الاصل الواحد في الالفاظ العربية له فوائد جمة قد تكون اهمها هي الفائدة التعليمية فان الاصل الواحد يمكن من يريـد تعمها معرفة سائر الالفاظ ذات الاصل المشترك معرفة اجمالية وبذلك يوفر على نفسه الوقت والجهد في حين انك لا تجد مثل تلك الصفة في اللغات اللاتينية ، فانت لو بحثت عن كلمة (أخ) او (أخت) في العربية لوجدتهما تحت مادة (أخو) ولـكنك لن تجـد مـا يقابل الكلمتين تحت مادة واحدة في الانـــكليزية بل ستجـــد كلمـــة (Brother) في مكان وكلمة (Sister) في مكان اخر • وكذلك الامر في كلمتي (daugter , Son)[1] •

او نشتق من الاسماء فنقول (استأسد) الرجل : اى شابه الاسد و (توجه) اذا البسه التاج و (استحجر الطين) اذا يبس كالحجر ••• الخ •

٤ ـ وجود التضاد في العربية ، وهو ان يطلق اللفظ على المعنى المقصود وضده مثل كلمة « البصير » نطلقها على الشخص الاعمى ، او المبصر حقا • وهناك امثلة كثيرة على الاضـــداد في كتب الادب العربي[2] وتعليل وجودها[3] •

ويقول الاستاذ احمد امين عن اللغة العربية : انها ارقى اللغـــات السامية كما يقرر دارسو تلك اللغات ، فلا تعادلهـــا الارامـيـــة ولا العبرية ولا غيرها من هذا الفرع السامي ، وهي كذلك أرقى لغـات

(١) راجع « خصائص العربية ومنهجها في التجديد والتوليد » تاليف محمد المبارك صفحة (٢٦ ـ ٢٨) ومقالة « خواطر اجتماعية حول اللغـــة العربية » بقلم المستشرق جاك بارك العدد (٣) السنة الخامسة من مجلـة الفكر التونسية •

(٢) المحاسن والاضداد : الجاحظ •

(٣) فقه اللغة : الدكتور علي عبدالواحد وافي (ص ١٨٨ وما بعدها) •

العالم فهي تمتاز حتى عن اللغات الارية بكثرة مرونتها وسعة اشتقاقها هذه اللغة بمرونتها وما فيها من اشتقاق ومجاز وقلب وابدال ونحت هو الذى جعل اللغة العربية تستطيع ان تكون لغة القرآن الكريم والحديث وما فيهما من معان في منتهى السمو والرفعة وما فيهما من تعبيرات دينية واجتماعية وتشريعية لا عهد للعرب بها في جاهليتهم ، كما استطاعت بعد ان تكون اداة لكل ما نقل من علوم الفرس والهند واليونان وغيرهم وفي نحو (٨٠) سنة من بدء العهد العباسي كانت خلاصة كل هذه الثقافات مدونة بالعربية . والعرب الذين لم يكونوا يعلمون شيئا من مصطلحات الحساب والهندسة والطب ولا شيئا من منطق ارسطو وفلسفته اصبحوا في قليل من الزمن يعبرون عن أدق نظريات اقليدس ونظريات بطليموس وطب جالينوس وحكم بزرجمهر[١] وليس هذا فحسب بل ان اللغة العربية انتشرت بين سكان البلاد المفتوحة ، فلم يمض زمن طويل بعد الفتح حتى رأيت رجال الكهنوت القبطي يكتبون بالعربية ليفهموا قومهم ، وما انقضت (٣٠) سنة على فتح اسبانيا حتى اخذ الناس هناك ينسخون الكتب اللاتينية بحروف عربية ، ثم ترجمت التوراة والقوانين الكنسية الى العربية ليتمكن رجال الدين انفسهم من فهمها ، وبعد مضي (٥٠) سنة على الفتح اصبح الناس كلهم يتكلمون العربية واتخذ النصارى من هذه اللغة ترجمانا لعواطفهم وقلوبهم واخذوا يحبون تلاوة قصائد العرب وقصصهم[٢] .

اما مصطفى صادق الرافعي[٣] فهو يكرر ما جاء به الاستاذ احمد

---

(١) ضحى الاسلام : ج١ (ص ٢٨٩ـ٢٩٠) وفجر الاسلام (ص١٩٥) .

(٢) من مقالة بعنوان مصادر الثقافة العربية وتاثيرها في الحضارة الحديثة للاستاذ محمد كرد علي .

(٣) تاريخ آداب العرب : ج ـ١ (ص ـ ١٦٩) .

امين في السطور السابقة ثم يضيف الى ذلك قوله[1] :

« ... وان من اخص شروط التمدن الاجتماعي هي : الحرية والنظام والنمو وهي اتي تتخلف عن معانيها الاجتماعية اثار المدنية التي تدل على حضارة الامم الخالية كالابنية والمخلفات الادبية والعلمية والفلسفة ثم الثروة الاعتيادية التي تدير حركة العمران من التجارة والصناعة والزراعة ثم الشرائع وهذه الشروط هي كذلك اخص مميزات اللغة العربية ، فهي حرة في اوضاعها ، بها يطابق الحرية الشخصية والسياسية منتظمة في اجزائها بما يماثل نظام القوانين والشرائع حتى امكن ان يحصى منها كل كلمة جاءت شاذة في بابها نامية في مجموعها بما فيها ثروة الاوضاع التي تكافيء معاني الاقتصاد السياسي على أتم وجوهها » .

وما يقوله الدكتور عبدالوهاب عزام[2] : ان العربية لغة كريمة خالدة ، انضجها الزمان المتطاول في البقاع الشاسعة من الجزيرة واخرجتها الفطرة السليمة والاحساس المرهف والادراك النافذ لغة كاملة معجبة عجيبة ، تكاد تصور الفاظها مشاهد الطبيعة وتمثل كلماتها خطرات النفوس وتكاد تتجلى معانيها في اجراس الالفاظ ، وتمثل في نبرات الحروف ، كأنما كلماتها خطرات الضمير ونبضات القلوب ونبرات الحياة ، فالمعاني المحسة والمعقولة مبينة في الفاظ تدرك الفروق الدقيقة بين الاشياء المتشابهة ، فتضع للشبيه لفظا غير ما وضعته لشبيهه ادراكا للفرق الدقيق بينهما ...

ويتفق كل من الامير مصطفى الشهابي[3] والدكتور مصطفى جواد[4]

---

(١) المصدر السابق : (ص ٢١٩) .

(٢) مهد العرب : الدكتور عبدالوهاب عزام (ص ١٦) .

(٣) المصطلحات العملية في اللغة العربية (مصطفى الشهابي) (ص٦) .

(٤) من مقالة له بعنوان (بحث في سلامة العربية) نشرت في مجلة المجمع العلمي العراقي الجزء الاول من السنة الاولى .

والشيخ محمد رضا الشبيبي[1] على ان اللغة العربية تمتاز بالرقي لسعتها وغناها في الكلم والمشتقات ولوفرة حظها من المعاني الانسانية السامية .

وقد لمس بعض المستشرقين النواحي الفنية في اللغة العربية التي تدل على احتوائها لبذور الحياة والنمو . وفي هذا الصدد يقول المستشرق (جب) « واول وسيلة يظهر بها تحسس العرب بالجمال نلمسها في اللغة والكلام وهنا لعمر الحق فن آخذ وفن له خطره وروعته اكثر من اي فن غيره[2] .

ومما يقوله المستشرق (وليم مايسي) عن اللغة العربية :

« هناك ميزة خاصة باللغة العربية تسهم في الاخذ بنصيب من هذا العنصر الاساسي للشعر الا وهي : ان الحروف الساكنة في هذه اللغة هي من قوة الواقع بحيث لا شيء يحجب اصول الكلمات عن المتكلم وسامعيه ، ولهذا السبب تنقشع الكلمة دائما في هذه اللغة عن الجذور التي تحدرت منها ، وربما كان الشعور بالجذور أشد من الشعور بالكلمة ، كل جذر عربي هو اذن قيثارة لا يمس وتر من اوتارها الا خفقت لمسه سائر الاوتار وكل كلمة تبعث بالاضافة الى وقعها الخاص تواقيع خفية لاخواتها من الكلمات وانها تتخطى حدود معناها المباشر موقظة في اعماق النفس موكبا من المشاعر والصور . والتركيب العربي غني بالوقع الموسيقي الى ابعد حده فالتطور الشكلي لهذه اللغة يقوم اكثر ما يقوم على فقرات منتظمة قصيرة وطويلة فاللغة هي اذن بحد ذاتها موسيقية اذا صح التعبير[3] .

---

(١) من مقالة له بعنوان « اللغة وسنة التطور » نشرت في مجلة (العرفان) الجزء الخامس والسادس المجلد (٤٢) .

(٢) الاتجاهات الحديثة في الاسلام : ترجمة كامل سليمان (ص٣١) .

(٣) من مقالة له بعنوان «اللغة العربية» نشرت في مجلة « باريس » العدد الاول من السنة الاولى ونظير هذا الرأى رأي الرافعي في كتابه « تاريخ اداب العرب الجزء الاول ص : ٢٢٠ » ورأى الاستاذ زكي الارسوزي في كتابه « العبقرية العربية في لسانها » ورأى المستشرق « ماكس فانتاجو » في كتابه «المعجزة العربية ترجمة رمضان لاوند ص : ٦٦» وأخيرا رأي =

اما الذين يهاجمون اللغة العربية ، وقد يغالون فيدعون انها من اللغات الميتة ،فأن حججهم تنحصر في :ـ

١ ـ ان غنى اللغة العربية المفرط في المفردات يضر بها اكثر مما ينفعها اذ يفضي بها الى لج من الابهام يحول بينها وبين الوضوح والافهام •

ان الحقيقة التي لا مراء فيها ان مفردات اللغة العربية كثيرة كثرة تسترعي الانتباه ، والذى لا شك فيه ايضا ان تلك الكثرة تعود الى اسباب سنحاول ايجازها فيما يلى :

(أ) ان اللغة العربية اوسع اخواتها الساميات ثروة في اصول الكلمات والمفردات •

(ب) ان اللغة العربية فيها من اللهجات العربية الشيء الكثير ، يقول الاستاذ اسرائيل ولفنسون : ان اللغة العربية الباقية هي مزيج من لهجات مختلفة بعضها من شمال الجزيرة وهو الاغلب وبعضها من جنوب البلاد واختلطت كلها بعضها ببعض حتى صارت لغة واحدة ، وكانت اللهجات القديمة مختلفة في كثير من مادتها اللغوية ولاسيما في كيفية نطق الكلمات المشتركة،فلما اجتمعت هذه اللهجات وامتزجت وصارت لغة واحدة بدت فيها بعض الكلمات في مظاهر مختلفة وصيغ متباينة مثل كلمة : نجم فاننا نقول في جمعها : انجم ونجوم وانجام وكلها بمعنى واحد •

ومثل كلمة : أسد نقول في جمعها : أسود ، آساد ، أُسْد ، وهذه الامثلة تدل على انها كانت كلها صيغا مختلفة لكلمة واحدة تستعمل كل قبيلة من القبائل صيغة واحدة منها للمعنى الذى تستعمل

= عباس محمود العقاد في كتابه « اللغة الشاعرة » الذي جاء به لاثبات ان اللغة العربية بنيت على نسق الشعر في اصوله الفنية والموسيقية في تركيب حروفها وتركيب مفرداتها وتركيب قواعدها وعباراتها ، وكذلك محمد المبارك في كتابه « خصائص العربية ومنهجها الاصيل في التجديد والتوليد »•

له قبيلة اخرى صيغة اخرى من هذه الصيغ فلما جمعت المفردات والصيغ العربية في معاجم الكتب بعد الاسلام اجتهد اللغويون والادباء في تخصيص كل صيغة بمعنى خاص ولكن مع ذلك بقي كثير من الصيغ المختلفة يتوارد على معنى واحد[1] ٠

ان رأي اسرائيل ولفنسون في تعليل كثرة المفردات والالفاظ المترادفة ليس بالرأي الجديد ٠ فقد سبقه السيوطي حين قال معللا تلك الكثرة في مفردات العربية :

« ان لوقوع الالفاظ المترادفة سببين ، احدهما ان يكون من واضعين ، وهو الاكثر بان تضع احدى القبيلتين احد الاسمين والاخرى الاسم الاخر للمسمى الواحد من غير ان تشعر احداهما بالاخرى ثم يشتهر الوضعان ويخفى الواضعان ، او يلتبس وضع احدهما بالاخر ، وهذا مبني على كون اللغات اصطلاحية ٠ والثاني ان يكون من واضع واحد وهو الاقل وله فوائد منها ان تكثر الطرق الى الاخبار عما في النفس ومنها التوسع في سلوك طرق الفصاحة واساليب البلاغة في النظم والنثر »[2]٠ يضاف الى ذلك ان نزول القرآن بلغة قريش أدى الى انتقال الكثير من مفردات اللهجات المنتشرة في انحاء الجزيرة العربية الى تلك اللغة رغم وجود نظائر لتلك المفردات في لغة قريش الامر الذى ضاعف من عدد بعض الكلمات التي تدل على مسمى واحد ٠

(جـ) ان اصحاب المعاجم العربية ، لم يأخذوا عن قريش وحدها ، بل اخذوا عن القبائل الاخرى الفاظا غير موجودة في لغة قريش ، وانما لها مترادفات ٠ كما ان واضعي تلك المعاجم سجلوا كثيرا من الالفاظ

(١) تاريخ اللغات السامية : اسرائيل ولفنسون (ص ١٦٦) ٠
(٢) المزهر للسيوطي : الجزء الاول (ص ٤٠٤) ٠

المهجورة التي استبدل بها غيرها الامر الذي ادى الى زيادة المفردات ومترادفاتها .

(د) ان كثرة التعريب والاشتقاق وخاصـــة في العصور العباسية زاد في مفردات اللغة العربية زيادة ملحوظة هذا بالاضافة الى الاستعمالات المجازية التي شاع استعمالها .

(هـ) هناك نقطة جديرة بالاهتمام في بعض الالفاظ المتشابهة المعاني ، تلك هي انها متقاربة في مخارج حروفها ، او انها يختلف بعضها عن بعض بتغيير حرف واحد ، مما يصرف الاعتقاد الى ان الاخطاء السمعية او ما يعتور اعضاء النطق من تغييرات هو السبب في اختلاف او ابدال بعض الحروف وبالتالى تعدد المفردات رغم دلالتها على معنى واحـــد او متشابـــه .

فالالفاظ التالية[1] تدل كلها على الضرب ، وهي متقاربة في مخـــارج حروفهـــا :

لدمه : ضربه بشيء ثقيل يسمع وقعه

لطمه : ضرب خده أو صفحة جسده

لحمه : اضربه وناله بمكروه

لخمه : لطمه

لكمه : ضربه باليد مجموعة الاصابع

ويؤكد احمد فارس الشدياق ذلك اذ يقول ان الناس يختلفون فيما بينهم في القدرة على السماع وفي القدرة على اعادة المسموع باصواتـه التي كان عليها ولهذا جاءت افعال كثيرة بمعنى واحد مثل : نز الماء ونش ونص

---

(١) نشوء اللغة العربية ونموهـــا واكتهالها : انستاس الـــكرملي صفحة (٣) .

وبص وطن ودن الخ[1] .

والالفاظ التالية ذات معان متشابهة رغم اختلافها بحرف واحد[2] .

هباء ، هباب	بش ، هش
ازاءه ، حذاءه	تاب ، ثاب
آن ، حان	نكث العهد ، نقض
اراق ، هراق	حث ، حض
وجب ، وجف القلب	ماج البحر ، مار
نعب الغراب ، نعق	دحر ، دغر
ذاع ، شاع	مدّ ، مطّ

الا اننا مع ذلك نجد الفاظا اختلفت في بعض حروفها وضعت لها معان ذات فروق وان كانت مجموعة في اطار عام ، فيقال ان :

الخنة أشد من الغنة

والقبصة أصغر من القبضة

والجمجمة ان يخفي الرجل في صدره شيئا ولا يبديه

والحمحمة ان يردد الفرس صوته ولا يصهل

والرفرفة صوت اجنحة الطائر اذا حام ولم يبرح

والزفزفة صوت حفيف الريح الشديدة الهبوب

والوشم في اليد

والوسم في الجلد

والوشي في الثوب

---

(١) احمد فارس الشدياق وارائه اللغوية والادبية : الدكتور محمد احمد خلف الله صفحة (١٠١) وما بعدها .

(٢) من أراد الاطلاع على الكثير من هذه النماذج فليراجع كتاب « غرائب اللغة العربية » لمؤلفه روفائيل نخله اليسوعي صفحة (٥ ـ ٤١) .

واللسع من اللحية

واللسب من العقرب

وخذفه بالحصى

وحذفه بالعصا

وقذفه بالحجر

وأجلح للذى انحسر الشعر عن مقدم رأسه

وأجلى وأجله للذى انحسر الشعر عن نصف رأسه

ويعتبر البعض[1] ان مثل هذا التقسيم دال على مقابلة الالفاظ بما يشاكل اصواتها من الاحداث حيث تجد بديع مناسبة الالفاظ لمعانيها ٠

وهناك الفاظ مترادفة ولكنها تختلف عن بعضها بزيادة حرف واحد مثل :

هدّ هدم

عسر عسرة

رز أرز

ولدينا مجموعة كبيرة[2] من المفردات يظن الكثيرون انها مترادفة ، ويقعون في الخطأ عند استعمالها مثل :

الكمد ، البث ، الكرب ، الاسى واللهف ، الوجوم ، الاسف ، الكآبة غير ان هناك فروقا دقيقة بين معانيها ، فالكمد حزن لا يستطاع امضاؤه والبث أشد الحزن ، والكرب الغم الذى يأخذ بالنفس ، والاسى واللهف هو الحزن على الشيء الفائت والوجوم حزن يسكت صاحبه ، والاسف حزن مع غضب والكابة سوء الحال والانكسار مع الحزن ٠

---

(١) المزهر للسيوطي : الجزء الاول (ص ٥٢ ـ ٥٥) ٠

(٢) من يرجع الى « فقة اللغة » للثعالبي يجد امثلة كثيرة عن الالفاظ التي يظن انها مترادفة وهي متباينة المعاني ٠

اما ما يقوله البعض من ان للاسد في العربية خمسمائة اسم وللسيف اسماء لا تعد ، فالواقع ان الاسماء الكثيرة التي تذكر في المعاجم لمسمى واحد ليست جميعها اسماء ، بل معظمها صفات استعملت كالاسماء ، فقد قيل ان من اسماء السيف :

الصارم ، الرواء ، الخليل ، القضيب ، الصمصامة ، ذو الكريهة ، المشرفي ، الحسام ، الهذام ، الهذوم ، الهندواني ، المهند ، الصقيل ، الابيض ... الخ[١] .

وقيل ان للعسل ثمانين اسماً منها :

الضرب ، الذوب ، النسيل ، الشَّهد ، الشُهد ، النَّطن ، النُّطن ، المزج ، المَزْج ، السلوانه ، البلوان ... الخ[٢] .

هذا وجدير بالانتباه هنا ايضا ان بعض تلك المفردات لا تختلف عن الاخرى الا بزيادة حرف او اختلاف حركة .

٢ ـ وعيب في اللغة العربية الاعراب ، لانه كما يدعي البعض لا يجدى نفعا وانه انما يمثل رواسب العربية القديمة ، اما اللغات الحديثة فقد تخلصت من الاعراب فهي بذلك حرة طليقة تساير التطور بلا عناء . ثم ان هذا الاعراب مدعاة للارهاق والارباك ، لا يعين على تعلم العربية بيسر ، لذا فان من الخير الغاءه ، والاستعاضة عنه بتسكين اواخر الكلمات المعربة وذلك لا يكلف التكلم ولا السامع مشقة وهو مع ذلك يؤدى الى الافهام بيسر .

وما دمنا في صدد البحث عن الاعراب فلابد لنا من الاتيان على بعض آراء المعنيين فيه[٣] .

---

(١) المزهر للسيوطي : الجزء الاول (ص ٤٠٩) طبعة ثالثة .

(٢) المزهر للسيوطي : الجزء الاول (٤٠٧ ـ ٤٠٩) ط ثالثة .

(٣) راجع كتاب « فقه اللغة » الدكتور علي عبدالواحد وافي صفحة (٢٠٤) .

تمتاز العربية بتلك القواعد الدقيقة التي اشتهرت باسم قواعد الاعراب والتي يتمثل معظمها في اصوات مد قصيرة تلحق اواخر الكلمات لتدل على وظيفة الكلمة في العبارة وعلاقتها بما عداها من عناصر الجملة وهذا النظام لا يوجد نظير له في اية أخت من اخواتها الساميات ، الا بعض اثار ضئيلة بدائية في العبرية والارامية والحبشية .

وقد وجد بعض الباحثين ان الاعراب لم يكن يراعى الا في لغة الاداب ، اما لهجات الحديث فقد كانت خالية منه منذ اقدم العصور ، واستدلوا على رأيهم هذا بما يلى :

١ ـ ان جميع اللهجات العامية المتفرعة من العربية والتي تستخدم في الوطن العربي خالية من الاعراب . ولو كانت اللهجات القديمة معربة لانتقل شيء من نظامها الاعرابي الى اللهجات الحديثة .

٢ ـ ان الاعراب عبارة عن قواعد دقيقة ومتشعبة تتطلب الانتباه الزائد . فهو لم يكن رفيق اللهجات العامية التي تتوخى في العادة السهولة واليسر .

٣ ـ ان عقلية العرب الساذجة في عصورهم الاولى لا تمكن باى حال من الاحوال ايجاد مثل هذا النظام الدقيق الذى هو الاعراب . وان تلك الدقة لتدل بوضوح على ان الاعراب انما خلقه النحاة مؤخرا قاصدين بذلك تزويد اللغة العربية بنظم شبيهة بنظم الاغريقية حتى يكمل نقصها في نظرهم وتسمو الى مصاف اللغات الراقية .

ان الاراء المذكورة لم تلاق قبولا عند اكثر الباحثين في اللغة حتى عند اكثرهم تحاملا على الساميين واشدهم ولوعا بالانتقاص من

حضارتهم ولغاتهم كالاستاذ « رينان » الفرنسي[1] • ومن اهم الادلة على فساد الاراء السابقة ما يلي :ـ

١ ـ لقد طرأت على اللغة العربية تطورات كثيرة في اصواتها وقواعدها خلال العصور الماضية • فخلو اللهجات الحالية من الاعراب لا ينهض دليلا على عدم وجوده في القديم •

٢ ـ ليس من الغريب ان تتفق اللهجات العامية كلها في التجرد من علامات الاعراب ، لانها خضعت لقانون من قوانين التطور الصوتي وهو ضعف الاصوات الاخيرة في الكلمة وانقراضها ، وهو قانون عام خضعت له جميع اللغات الانسانية في تطورها • ومع ذلك فاننا نجد في اللهجات العامية الحاضرة بعض مظاهر الاعراب وخاصة الاعراب بالحروف ، فيقال مثلا في عامية العراق ومصر وغيرهما •

ابوك ، اخوك

ولا يقال أبك ، أخك

وكذلك الامر بالنسبة لجمع المذكر السالم حيث يقال :

المعلمين ، المؤمنين ، المحرومين •••• الخ

وتمتاز لهجات العراق الحاضرة بالنطق بالافعال الخمسة مثبتة فيها نون الاعراب :

يمشون ، تمشين ، تمشون

٣ ـ ان دقة القواعد وتشعبها لا يدل على انها مخترعة ، فاليونانية واللاتينية في العصور القديمة والالمانية في العصر الحاضر ، تشتمل كل واحدة منها على قواعد لا تقل في دقتها وتشعبها عن قواعد اللغة العربية ولم يؤثر هذا في انتقالها من جيل الى جيل عن طريق التقليد ولا في مراعاتها في الحديث ولم يقل احد انها من خلق علماء النحو

---

(١) راجع فقه اللغة : الدكتور علي عبدالواحد وافي صفحات ٢٠٦ ـ ٢١٠ •

واختراعهم . يضاف الى ذلك ان خلق القواعد امر يصعب تصوره ، لان قواعد اللغة لا تخلق بل تكون تدريجيا وتتطور . ثم اننا نعلم ان الذين درسوا قواعد اللغة العربية ووضعوا تأليفهم فيها لم يكونوا على معرفة باللغة اليونانية هذا على ما بين اللغتين من اختلاف جوهرى في القواعد .

٤ - ان الروايات متواترة بشأن تحفظ اهل النحو في دراسة اللغة العربية لاستنباط القواعد ، ومقدار ما كانوا يبذلون من جهد للوقوف على الكلام الصحيح ، وكان ذلك يقتضيهم في بعض الاحيان الخروج الى البادية لقضاء وقت ليس بالقليل بين اهلها لتعقب كلامهم وهذا يدل بوضوح على انه لم يكن هناك تواطؤ بين النحاة لوضع قواعد معينة ، انما استنتجت تلك القواعد بعد دراسة طويلة .

٥ - ليس في الروايات العربية او غيرها اية اشارة الى ان علماء النحو العرب قد تواطئوا على وضع القواعد .

٦ - لقد اكتشفت في مرحلة متأخرة في منطقة واسعة تمتد من دمشق الى منطقة العلا ، نقوش بالعربية البائدة ويقصد بها اللهجات العربية التي كانت تستخدم قديما في بعض مناطق واقعة في الشمال على مقربة من الحدود الارامية وفي داخلها وخاصة في واحات تيماء ومدائن صالح ومنطقة العلا شمال الحجاز وقد لوحظ ان تلك اللهجات لم تخل من علامات الاعراب(١) .

٧ - وجود الاعراب ولو بشكل ضئيل في لغات اخرى سامية الاصل دليل واضح على ان علماء النحو العرب لم يخلقوا الاعراب خلقا .

٨ - الشعر العربي باوزانه الموسيقية يعتمد على الاعراب ، فبدون اعراب

---

(١) راجع فقه اللغة : الدكتور علي عبدالواحد وافي صفحة (٩٥ ، ١٠٠ ، ٢٠٨) .

الكلمات تختل تلك الاوزان • فاذا عرفنا ان الشعر العربي سبق وضع علم النحو بكثير دل ذلك على ان الاعراب ميزة قديمة في اللغة العربية • ثم ان القرآن الكريم نفسه وصلنا معرب الكلمات •

فنظام الاعراب عنصر اساسي في العربية منذ اقدم عهودها ، وكل ما عمله النحاة هو انهم استخلصوا مناهجه استخلاصا من القرآن والحديث والشعر وكلام الفصحاء ورتبوها وصاغوها قواعد وقوانين •

ان الواقع الذي لا يمكن نكرانه هو ان للاعراب فوائد كثيرة لا يمكن تجاهلها ، ولا يغني عنها الالتجاء الى تسكين اواخر الكلمات • فان وجود اعراب غني بالحالات يكفينا مؤونة وضع قواعد دقيقة لترتيب الكلام وبناء الجمل ، وفقدان الاعراب هو الذي اكثر من القواعد التي نراها في اللغة الصينية وبنسبة اقل في الفرنسية[١] حتى يصعب علينا معرفة معنى الكلمة الصينية دون معرفة موضعها في الجملة مسبقا ولا نستطيع التفريق بين الاسم والفعل فيها ، وكذلك الحال في اللغة الانكليزية في بعض الحالات[٢] •

ان الذي لا يرقى اليك شك هو ان ارتباطا وثيقا بين الاعراب والمعنى[٣]، وانه ليس حلية لفظية او علامات لا تفيد معنى • وان الدراسات المستفيضة التي قام بها علماء النحو ، ويواصلها عدد كبير من الادباء في الوقت الحاضر لم تكن منصبة على شيء تافه لا جدوى من ورائه • وليس ادل على علاقة الاعراب بالمعنى من تفحص القرآن الكريم والحديث الشريف ثم الادب شعرا ونثرا ، اذ سنجد ان فهم المعاني يكاد يتوقف على الاعراب • ففي القرآن الكريم نجد ان تعدد القراءات وبالتالى تعدد المعاني وفق ذلك خير

---

(١) منهج البحث في اللغة (ماييه) ـ ترجمة الدكتور محمد مندور صفحة (٧٧) واللغة فندريس صفحة (١١٣ ـ ١١٤) •

(٢) راجع الصفحة (٥٢ ، ٥٣) من هذا الكتاب •

(٣) الخصائص : لابن جني الجزء الاول(مطبعة الهلال) صفحة(٣٣)•

دليل على ما تقول ، ومن امثلة تلك القراءات :[1]

١ ـ قولـه تعالى :

« ام حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين »[2] • فقرىء « يعلم الصابرين » برفع الفعل • فيـكون المعنى ولما تجاهدوا وانتم صابرون وقرىء بالنصب فيكون المعنى ولما تجاهدوا مع الصبر وقرىء بالجزم فيكون المعنى ولما تجاهدوا ولما تصبروا على الجهاد •

٢ ـ قولـه تعالى :

« فلينظر الانسان الى طعامه ، أنا صببنا الماء صبا ••• »[3]

فقرىء أنا بفتح الهمزة على معنى ، فلينظر الانسان الى طعامه ، الى الماء وقد صببناه ، وقرىء إنا بكسر الهمزة على معنى الامر بالنظر الى الطعام ثم استئناف الكلام للتوضيح وتعديد الاعمال التي لابد منها لاعداده •

وقرىء بفتح الهمزة وامالة الالف فتصبح (انى) بمعنى كيف •

٣ ـ وقولـه تعالى :

« يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة ، لنبين لكم ونقر في الارحام ما نشاء[4] فقرى الفعـل (نقر) بالنصب على معنى خلقناكـم على

---

(١) من قضـايا اللغـة والنحو : علي النجـدي ناصف (صفحـة ١١ ـ ١٢٧) •

(٢) سورة أل عمران : آية ١٤٢ صفحة (٢٢٠) من تفسير الزمخشرى الجزء الاول الطبعة الاولى •

(٣) سورة عبس : آية ٢٤ تفسير الزمخشري الجزء الرابع من الطبعة الاولى صفحة (١٨٦) •

(٤) سورة الحج : آية (٥) راجع الزمخشري الطبعة الاولى الجزء ٣ صفحة (٢٦) •

الترتيب المذكور لنوضح لكم مقدرتنا وان نقر في الارحام من نشاء اقراره حتى يولد وينشأ ••• وقرى الفعل بالرفع فيكون المعنى انا خلقناكم بذلك الشكل اثباتا لقدرتنا ، ثم أخبر سبحانه وتعالى ان من دأبه في خلقكم ان يقر في الارحام ما يشاء ويسقط منها ما يشاء ، اي ان الآية للحديث عن قدرته تعالى لا للحديث عن اقرار النطفة في الارحام •

٤ ـ وقوله تعالى :

« ودوا لوتدهن فيدهنون »[١] •

ومعنى الآية انهم يدهنون كي تدهن مثلهم • وقرى الفعل بحذف النون اي « فيدهنوا » فيصبح المعنى : انهم ودوا لو تدهن ليدهنوا مثلك • واذا انتقلنا من قراءات القرآن المختلفة الى نماذج اخرى لا يتضح معناها الا بوجود الاعراب لرأينا المجال واسعا والامثلة كثيرة فمن ذلك قوله تعالى :

« انما يخشى الله من عباده العلماء »[٢]

فان نصب لفظة الجلالة ورفع لفظة « العلماء » في الآية المذكور أمر ضروري بدونه يكون المعنى غامضا ، بل وخاطئا •

وكذلك قوله تعالى :

« واذا ابتلى ابراهيم ربه »[٣]

فان نصب « ابراهيم » ورفع لفظة « رب » أمر لازم لفهم المعنى الصحيح وكذلك قوله تعالى :

« واذا حضر القسمة اولوا القربى »[٤]

---

(١) سورة القلم : آية (٩) راجع الزمخشري الطبعة الاولى الجزء (٤) صفحة (١٢٦) •

(٢) سورة فاطر : آية (٢٨) •

(٣) سورة البقرة : آية (١٢٤) •

(٤) سورة النساء : آية (٨) •

وكذلك قوله تعالى :

« أن الله برىء من المشركين ورسوله »[١] .

فان اغفال الاعراب في هذه الآية يوقعنا في تحريف لمعنى الآية شنيع .

وهناك اساليب تستلزم الاعراب لاغراض بلاغية . من ذلك قوله تعالى : « ... ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب واقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في البأساء ... » فان سياق الكلام كان يقتضي رفع كلمة (الصابرين) كما رفعت كلمة (الموفون) الا ان النصب جاء على الاختصاص للمدح .

قد يظن البعض ان هذه الامثلة القلية لا تصح ان تكون سندا لاقامة هذه القواعد الكثيرة في الاعراب . ولكن مثل هذا الظن خاطىء لان الاعراب لازم ليس في بعض آيات القرآن فقط ، بل في اساليب الكلام الاخرى لايضاح معانيها وابرازها . فانت حين تقرأ قول الشاعر احمد شوقي :[٢]

ولقد تمر على الغدير تخاله والنبت مرآة زهت باطار

ستقع في حيرة لغموض المعنى . غير ان الغموض يزول حين تجعل النبت ومرآة منصوبتين ، او قول الشاعر الجواهري :[٣]

ويحطم العمر منا صوغ قافية فيها حياة لاجيال واعمار

فان المعنى سيكون غامضا ان لم تنصب كلمة (العمر) وترفع كلمة (صوغ) . ثم علينا ان ننتبه الى صفة خاصة في الاعراب سواء كان في اواخر

(١) سورة التوبة : آية (٣) .
(٢) من قضايا اللغة والنحو : علي النجدي ناصف صفحة (٢٢) .
(٣) ديوان الجواهري : الطبعة الرابعة صفحة (٤٩) .

الكلمات او قبلها ، فان تلك الحركات تؤدي الى اختلاف المعاني واليكم المثال التالي في بعض الكلمات المفردة وكيف ان معانيها تتغير بتغير حركاتها :

بَشَّرَ : قال تعالى : « فبشرناها باسحق ..... »

بُشْر : قال تعالى : « يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته »

بِشْر : كقول الشاعر :

قد استوى بشر على العراق   من غير سيف ودم مهراق

بَشَر : كقوله تعالى : « ما هذا بشرا ، ان هذا الا ملك كريم » .

بُشِّرَ : كقوله تعالى : « واذا بشر احدهم بالانثى .... »

بَشِّرْ : كقوله تعالى : « فبشر عبادي الذين يسمعون القول فيتبعون احسنه ... » .

ومثل ذلك[1] (نَعَمْ) حرف جواب و (نِعْمَ) للمدح و (نَعِمَ) عيشه لان و (نَعُم) الشيء لان ملمسه و (نَعَّمَ) جعله ناعما و (نَعَم) المال .

٣ – وعيب فيها عدم كونها لغة كتابة وكلام في آن واحد كما عيب فيها صعوبة قواعدها وما يقتضيه تعلمها من جهد يساوي الجهد المبذول في تعلم اللغات الاجنبية وسنناقش هذا في البحث في وضع قواعد اللغة وتيسيرها وفي موضوع اللهجة العامية والخط العربي .

٤ – وعيب في العربية ايضا عدم مسايرتها للتقدم العلمي والفني ، وبالتالي قصورها عن ايجاد المصطلحات للمسميات التي يبتكرها ذلك التقدم . وعلينا (في الوقت الذي نعترف فيه ان حركة ايجاد المصطلحات في العربية لا تواكب التقدم الحضاري في سيره) ان لا ننسى ان ذلك ليس صفة لازمة من صفات العربية . وان اي لغة انما تغنى بغناء

---

(١) المصباح المنير : صفحة (٩٤٨) .

اهلها وتتقدم بتقدمهم وتطورهم وانها تتأخر إن تأخر اهلها وانحطوا عن مراتب الحضارة . فالعيب عينا نحن . تزحف الامم والشعوب نحو النور ونحن قارون في الظلام لا نريم ثم نملأ الدنيا عويلا وشكوى دون ان نتحرك . ويقول العالم ج . فندريس بهذا الشأن :

« والواقع اننا لا نعلم اطلاقا لغة قد قصرت عن خدمة انسان عنده فكرة يريد التعبير عنها ، فلا ننصت اذن الى اولئك المؤلفين العاجزين الذين يحملون لغاتهم مسؤولية النقص الذي في مؤلفاتهم لانهم هم المسؤولون على وجه العموم عن هذا النقص ، ويقول (ديكارت) : اولئك الذين يفكرون خير تفكير ويهضمون افكارهم خير هضم ليجعلوها واضحة مفهومة يستطيعون دائما اكثر من عداهم ان يفهموا الاخرين اراءهم ولو لم يتكلموا غير البريتانية السفلى »[1] .

ان في اللغة العربية مرونة وصفات تساعدها على ان تساير التطور والتمدن اذا ما ساير أهلوها التمدن والتطور . واننا نجد انه « قد مر على انشاء كلية الطب في دمشق خمس وثلاثون سنة وهي ثابتة تعلم العلوم باللغة العربية وتبرهن على ان هذه اللغة لا تعجز عن مجاراة اللغات الاخرى اذا تعهدها ابناؤها واخلصوا لها »[2] .

ثم اننا نجد ان هناك بعض الادباء قد صرفوا جهودهم الى وضع المصطلحات العربية فادركوا النجاح . اما ان مصطلحاتهم لم يكتب لها الانتشار الواسع فامر لا يعود الى اللغة ذاتها بقدر ما يعود الى اسباب اخرى كثيرة اهمها عدم تنسيق خطة مدروسة بين اولئك وبين السلطات الثقافية في الوطن العربي لنشر تلك المصطلحات وتعميمها . كما ان هناك هيئات حكومية ساهمت في وضع المصطلحات ونذكر على سبيل المثال : المعجم العسكري

---

(١) اللغة : ترجمة الدواخلي والقصاص صفحة (٤٢١) .

(٢) المصطلحات العلمية : مصطفى الشهابي صفحة (٥٩) .

الذي وضعته لجنة في وزارة الدفاع في العراق • ويشتمل هذا المعجم مصطلحات علمية وفنية يتداولها العسكريون هذا بالاضافة الى جهود اخرى فردية قام بها بعض الادباء •

مما تقدم نستطيع ان نخلص الى ان اللغة العربية كغيرها من اللغات لا تخلو من عيوب ، وفيها محاسن • واننا نقع في خطأ كبير حين نضخم عيوبها حتى نجعل منها عقبة كأداء في سبيل كل تطور وتقدم • ونحن نقع في وهم كبير ايضا حين نوحي لانفسنا بان اللغة العربية هي افضل اللغات ، لان مثل هذا الاعتقاد يدل على جهل وتعصب مفضوح ، او حين نضفي على العربية ثوبا قدسيا لمجرد انها لغة نزل بها القرآن ، فان ذلك سيصل بنا الى اهمالها ظنا منا بكمالها ، وبالتالي جمودها وتخلفها عن ركب الحضارة والحياة•

لغتنا اذن فيها مساوىء وفيها محاسن شأنها في ذلك شأن اللغات الاخرى وتقدمها لا يتم مالم يشملنا التقدم والرقي ونأخذ باسبابهما لانها من مظاهر حياتنا •

وَضْعُ قَوَاعِدِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ

وضع قواعد اللغة العربية

ان ظهور الاسلام ونزول القرآن بلسان عربي مبين سبب ارتباطا وثيقا بين اللغة العربية وبين الدين الجديد « واصبحت لغة القرآن هي اللغة الرسمية والنموذج الذي يجب ان يحتذى »[1] كما اصبحت لغة القرآن رمزا لغويا لوحدة عالم الاسلام في الثقافة والمدنية ، ولقد برهن جبروت التراث العربي الخالد على انه اقوى من كل محاولة يقصد بها الى زحزحة العربية الفصحى عن مقامها المسيطر واذا صدقت البوادر ولم تخطىء الدلائل فستحتفظ ايضا بهذا المقام العتيد من حيث هي لغة المدنية الاسلامية ما بقيت هناك مدنية اسلامية[2] .

وكان انتشار العرب الفاتحين في الامصار سببا في انتشار لغتهم هناك فأخذ اهلوها يترسمون اللغة العربية ويحاولون تتبع تركيبها . الا انها صادفت ما يهدد بمسخها على ايدي غير العرب . لانهم اخذوا يستبدلون باصوات عربية معينة اخرى اسهل عليهم واقرب الى لسانهم « كما ان لغتهم كانت خالية من نظام التصريف الذي هو من اصول اللغة العربية الامر الذي دفع باهل تلك البلاد الى اهمال التصريف ايضا عند تعلمهم وتكلمهم اللغة العربية »[3] اي ان الاعاجم أفسدوا اللغة اللسانية[1] . ويجب ان لا ننسى ان انتشار الجواري في المجتمع العربي وهن من جنسيات وألسن متباينة خلق طبقة من الابناء لا تجيد الكلام

---

(١) العربية ــ دراسات في اللغة واللهجات والاساليب : يوهان فك ترجمة عبدالحليم النجار (صفحة ١) .

(٢) المصدر السابق (صفحة ٢٣٤) وراجع مقالة الدكتور عمر فروخ بعنوان (اللغة العربية في تاريخنا وفي الثقافة الانسانية) مجلة العلوم (العددان الخامس والسادس السنة الخامسة) .

(٣) المصدر السابق (صفحة ١٠) .

(٤) ضحى الاسلام : احمد امين ، الجزء الاول (صفحة ٢٩٤) .

بالعربية الفصحى ، بل وأدت تلك الحالة الى ظهور كلمات مولدة بتأثير الامهات فظهور اللحن في اللغة هو سبب وضع القواعد اذ كان حرص العرب شديدا على لغتهم فخافوا ان يتفشى اللحن فيها فتفسد وتتدهور « فينغلق القرآن والحديث على المفهوم ، فاستنبطوا من مجاري كلامهم قوانين يقيسون عليها سائر انواع الكلام ويلحقون الاشباه بالاشباه ... الخ »[1].

والروايات تتعدد في نشوء اللحن ، فهناك من يقول انه كان موجودا منذ ايام الرسول ولكنه كان بصورة خفيفة اذ يروى[2] ان احد الرجال لحن في حضرة الرسول فقال : ارشدوا اخاكم فانه قد ضل « ويروى عن الرسول (ص) انه قال :

« انا من قريش ونشأت في بني سعد فأنى لي اللحن ؟ »[3]

ومما يروى ان الخليفة ابا بكر (رض) كان يقول :

« لان اقرأ فاسقط أحب الي من ان أقرأ فالحن »[4] .

وروى ايضا انه ورد الى الخليفة عمر (رض) كتاب اوله :

« من ابو موسى الاشعري » .

فكتب عمر لابي‌موسى بضرب الكاتب سوطا جزاء لحنه .

وروى انه كان يتحدث الى قوم أساءوا الرمي لائما اياهم فقالوا له : « انا قوم متعلمين » فأجابهم غاضبا « والله لخطؤكم في لسانكم أشد علي من

(١) مقدمة ابن خلدون ـ طبعة دار الكشاف صفحة ٥٤٦ .

(٢) المزهر للسيوطي ـ الجزء الثاني صفحة ٣٩٦ الطبعة الثانية .

(٣) المصدر السابق صفحة (٣٩٧) الا ان بعض الكتاب المحدثين يقولون بوضع الحديث المنسوب الى الرسول (ص) مثل الدكتور صبحي الصالح في كتابه « دراسات في فقه اللغة ـ صفحة ١٣٠ » والاستاذ سعيد الافغاني في كتابه « في اصول النحو » .

(٤) المزهر للسيوطي جزء (٢) صفحة ٣٩٧ .

خطئكم في رميكم »[١] .

وتسرب اللحن الى قراءة القرآن . فقد جاء احد الاعراب المدينة في خلافة عمر بن الخطاب (رض) وقال : من يقرئني شيئا مما أنزل على محمد ؟ فأقرأه رجل سورة براءة فقال :

« وأذ ان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر ، ان الله بريء من المشركين ورسولِه .. » .

فقال الاعرابي : ان يتبرأ الله من رسوله فانا أبرأ منه .

وروى الجاحظ[٢] ان اول لحن سمع في البادية قول احدهم « هذه عصاتي » بدل « عصاي » وان اول لحن سمع في العراق قولهم « حي على الفلاح » بكسر الياء بدل فتحها .

وقصة بنت ابي الاسود شهيرة في هذا الباب ، فقد دخل عليها ابوها في وقت شديد الحر فقالت له : « يا أبت ما أشد الحر » رفعت « أشد » فظنها تستفهم بينما هي تريد التعجب .

وفي العصر الاموي انتشر اللحن حتى وقع فيه بعض الخلفاء والبلغاء بالرغم من انه كان عيبا يتحاشاه الناس كما ذكرنا ، فقد نقل عن عبدالملك بن مروان انه قال : « شيبني ارتقاء المنابر وتوقع اللحن . وكان يقول : اللحن هجنة على الشريف »[٣] .

وفي صدر الدولة العباسية كان اللحن مبعث استهجان ايضا . فقد وقع فيه ابو جعفر المنصور اكثر من مرة في مجلس واحد فما كان من احد

---

(١) ارشاد الاريب ـ الجزء الاول صفحة ٦٧ .

(٢) البيان والتبين : الجاحظ ـ الطبعة الاولى ـ الجزء الثاني صفحة ١٦١ .

(٣) المصدر السابق صفحة (١٥٩) .

الاعراب الجالسين الا ان قالها للمنصور : « أشهد لقد وليت هذا الامر بقضاء وقدر »[1] ولم يسلم هارون الرشيد من اللحن ايضا •

ان الروايات عن اللحن كثيرة جدا ولكن علينا ان لا ننسى ان اللحن مر في مراحل مختلفة • فقد كان في اول امره يكاد ينحصر في استعمال اللفظة في غير معناها وما لبث ان انقلب فاصبح خروجا على اساليب الكلام وقواعده[2] والروايات السابقة وغيرها تبين عن تلك المراحل •

ان انتشار اللحن بهذا الشكل وتسربه الى قراءة القرآن ، مع تشدد الطبقة العليا من العرب في المحافظة على لغتهم العربية التي كانت معرضة لخطر الفساد والانحلال في المدن بما تحتوى عليه من سكان اخلاط ، هو سبب وضع قواعد اللغة العربية بشكل يحدد الاستعمال اللغوى الصحيح بصورة اساسية ، ويكفل للاجيال الجديدة فصاحة اللسان واستقامة الكلام • ويذكر المؤرخون ان اول من وضع تلك القواعد هو ابو الاسود الدؤلي ، ولا يهمنا أختلاف المؤرخين في من أوعز اليه بذلك هل هو الامام علي بن ابي طالب (رض) ام انه زياد ابن ابيه ، ام انه دافع خاص دفع به او بغيره الى ذلك • ولكن الظاهر ان القواعد التي وضعها الدؤلي كانت موجزة لا تتعدى اعراب القرآن وضبط كلماته بنقاط يضعها عند اخر الكلمات لتدل على حركاتها بشكل يبعد بالقارىء عن الخطأ وان الناس كانوا يسألونه فيفصل لهم ويطنب في شرح ذلك الايجاز حين تلتبس عليهم بعض الامور • الا ان قواعد الدؤلي على كونها موجزة بقت معمولا بها الى عصر هارون الرشيد ، حين انبرى الخليل بن احمد الفراهيدي الى توسيع

---

(١) في اصول النحو ـ صفحة (١٣) بينما جاءت هذه الرواية في عيون الاخبار الدينوري الجزء الثاني صفحة ١٦٠ دون ذكر اسم ابي جعفر المنصور •

(٢) تناول المستشرق يوهان فك تطور اللحن في كتابه (العربية) ترجمة الدكتور عبدالحليم النجار بصورة مفصلة •

تلك القواعد وتهذيبها ، ثم جاء تلميذه المشهور سيبويه فزاد عليها بكثرة الشواهد التي أتى بها ، ثم طال الكلام في هذه الصناعة وحدث الخلاف بين اهلها في الكوفة والبصرة وكثرت الادلة وتباينت الطرق في التعليم وكثر الاختلاف في اعراب الكثير من آي القرآن ، ثم جاء من اختصر تلك العلوم ومنهم من نظمها كأبن مالك في الفيته »[١] ويلاحظ ان علماء النحو القدامى صرفوا جل اهتمامهم الى العناية باختلاف الحركات على أواخر الكلمات فقط وانصرفوا عن النظر في كيفية تركيب الجمل والقوانين المتبعة في ذلك الا ان هذه النقطة اخذت تبحث مؤخرا عندما انصرف البعض الى الكتابة والبحث في علم البلاغة كابي عبيدة معمر ابن المثنى في كتابه (مجاز القرآن) وعبدالقاهر الجرجاني في كتابه (دلائل الاعجاز) • وازداد باب الاجتهاد في النحو توسعا عندما قرب الخلفاء الادباء والرواة والنحويين ، فكان التنافس والميل الى الظهور بمظهر العالم المحقق يدفع باغلبهم الى التأويل الغريب بالطرق الملتوية ، وينبري لاثبات تاويلاته بشتى البراهين ، فهو يلجأ الى القبائل يستنطقها عله يجد عندها ما يؤيد رأيه ، وان كان ذلك الدليل شاذا وغريبا ، ومما يروى ان « الكسائي قدم البصرة فأخذ عن ابي عمرو ويونس وعيسى بن عمر علما كثيرا صحيحا ثم خرج الى بغداد فقدم اعراب الحطمة ـ يعني رعاة الابل الجفاة ـ فأخذ عنهم شيئا فاسدا فخلط هذا وبذلك فأفسده »[٢] • ويجب ان لا ننسى ان بعض النحاة كانوا ينحلون بعض الاقوال لشخصيات يحتج بكلامها اثباتا لارائهم ، والشواهد الكثيرة في النحو والتي لا يعرف قائلوها لدليل واضح على ما نقول •

---

(١) مقدمة بن خلدون ـ طبعة دار الكشاف (صفحة ٥٤٧) •
(٢) اخبار النحوين البصريين للسيرافي (صفحة ٥٦) نشره فريتس كرنكو •

مؤثرات في قواعد اللغة العربية

حين تقرأ قواعد اللغة العربية بانعام وتطلع بدقة على مسالك النحويين في التعليل والتحليل ستجد اشياء كثيرة تلفت النظر وتدل بوضوح على ان هذه المجموعة من القواعد خضعت لتأثيرات عديدة منها عامة واخرى خاصة وسأحاول تناول تلك التأثيرات بالشرح :

١ ـ المنطق :

كان لاحتكاك العرب بالامم التي اكتسحها الاسلام ، كالفرس والرومان ، واتصالهم باليونان ، الاثر الكبير في انتقال اغلب علوم تلك الامم الى العرب • ويبدو ذلك جليا في حركة الترجمة التي بدأت ضعيفة في العهد الاموي ثم أشتدت في العصر العباسي وخاصة في عصر المأمون • وكانت الفلسفة والمنطق من اهم العلوم المنقولة وقد أغرم بها العرب وصار ولعهم بها شديدا • وقد يكون من اسباب اهتمام العرب بالفلسفة والمنطق هو الروح الديني وغلبته على العقول • فالاديان لا تخلو من الغيبيات التي تتناولها دروس ما وراء المادة بالبحث • والاعتقاد بالخالق الواحد وان الكون مخلوق عند المسلمين له شبيه في مباحث المنطق القائمة فيه النتائج على مقدمات والمرتبطة فيه المعلولات بعلل ومهما يكن من أمر فقد سيطرت الفلسفة والمنطق على العقل العربي الذي بدأ يطبق شرائطهما في المجالات الفكرية كافة وكان « النحو » في مقدمتها • فلابد من علة لكل شيء والعلة هذه ربما لا تكون ظاهرة فلابد اذن من البحث عنها ولو أدى ذلك الى اعتساف الفكر • ولذلك اهتم النحاة بالبحث عن (العامل)[١] وأثره في اختلاف الحركات الاعرابية ، وربما شطوا شططا

---

(١) بحث الاستاذ ابراهيم مصطفى موضوع العامل في كتابه (احياء النحو) •

كبيرا في تقدير العامل ان لم يذكر لفظه مما سبب تعدد الآراء واختلافها وتعقدها •

وكان لانصراف النحويين الى تطبيق اصول المنطق وشرائطه بالدرجة الاولى وغلوهم في ذلك غلوا كبيرا أثر في صرفهم عن البحث في الامور المتعلقة بمعاني الكلام ، كما صرفهم الاهتمام بالاعراب عن النظر في طريقة نظم الكلام[1] وهذا هو السر في اننا نجد الكثير من الامثلة والشواهد النحوية تشبه الهياكل التي لا روح فيها[2] •

ويظهر أثر المنطق الجدلي في المماحكات التي كانت تدور بين النحاة ، والحجج التي كان يأتي بها كل فريق منهم •

٢ ــ عدم استكمال الدراسات :

غالى النحاة في أخذهم بالمنطق وشروطه في كل مسألة من مسائل النحو كما عرضنا ، وكان ذلك مدعاة الى وجود ثغرات في النحو العربي • وليس هذا فحسب بل ان مما اخل بجهودهم وبعثرها هو عدم استكمالهم دراساتهم • وعد ماستكمال الدراسات يبدو لنا في وجوه عديدة • فقد اقتصر النحاة على تدوين جزء من كلام العرب واهملوا الكثير منه • فالمعروف انهم لم يأخذوا الا عن القبائل الساكنة في وسط الجزيرة كأسد وقيس وتميم وهذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين فقط • ثم انهم سنوا قواعدهم على لغة قريش معتبرين اياها انقى اللغات واحسنها واخضعوا مقاييسهم لما سمعوه من الفاظها • ولكننا مع ذلك نراهم يهتمون من ناحية اخرى بشواذ الكلام ، وكتب النحو مملوءة بالشواهد الشاذة ، واندفعوا في تحليل ذلك

(١) اكثر النحاة يدفعون عن انفسهم مثل هذه التهمة • راجع الامتاع والمؤانسة لابي حيان التوحيدي الجزء الاول صفحة ١١٥ •

(٢) ذكر الدكتور محمد كامل حسين امثلة كثيرة على التفسيرات والتعليلات المتكلفة عند النحويين وذلك في مقاله (بحث في اصول علم اللغة) نشرته مجلة الاديب العدد (١١) من السنة (١٩) •

وتعليله بصورة بينة التكلف ، حتى قال ابن مضاء القرطبي :

« اني رأيت النحويين قد وضعوا صناعة النحو لحفظ كلام العرب من اللحن وصيانته عن التغيير فبلغوا من ذلك الغاية التي أموا وانتهوا الى المطلوب الذى ابتغوا ، الا انهم التزموا ما لا يلزمهم وتجاوزوا فيها القدر الكافي فيما ارادوه منها فتوعرت مسالكها ووهنت معانيها وانحطت عن رتبة الاقناع حجتها »(١) •

ومما شتت جهودهم ايضا اعتمادهم على الشعر لتأييد قواعدهم دون النثر على ما في الشعر من ضرورات يبيحها الشاعر لنفسه تحت وطأة القافية او الوزن ، لا تجدها في النثر ، وربما استباحوا لانفسهم الاستشهاد ببيت واحد لا مثيل له •

ورفض الكثير من علماء النحو الاعتماد على الاحاديث النبوية مستندين في ذلك الى ما شاب الاحاديث من وضع ودس • غير ان تصلبهم في رفض الاخذ بالاحاديث النبوية يثير الاستغراب حين نراهم لا يمتنعون عن الاخذ بالشواذ من الكلام وغريبه •

ومظهر اخر من مظاهر عدم استكمال الدراسات هو ان اغلب علماء النحو كانوا على جهل تام باللغات السامية او الآرية ومدى علاقة اللغة العربية باخواتها الامر الذى ادى الى ان تصير استنتاجاتهم مبنية على الظن لا على الدراسة والمقارنة العلمية ، حتى انهم اعتبروا الكثير من الكلمات العربية(٢) التي لم يشتهر استعمالها في الجاهلية ، والتي جاءت في القرآن الكريم ،

---

(١) الرد على النحاة ـ تحقيق شوقي ضيف صفحة (٨٠) •

(٢) في مقالة الدكتور ابراهيم السامرائي (العربية بين الجمود والتطور والتوليد ـ دراسة في اللغة والاسلوب) شواهد تؤيد هذا الرأى (مجلة كلية الاداب العدد الثاني السنة ١٩٦٠) •

كلمات دخيلة او العكس في بعض الاحيان كما ادى جهلهم باللغات الاخرى الى ان تصبح دراساتهم مبتورة ، يكتنفها التقعر والتكلف •

وهناك روايات تفيد ان بعض النحاة كانوا يغالون في تعقيد القواعد النحوية ويزيدون في غموضها لاسباب خاصة • فقد ذكر الجاحظ[١] انه سأل الاخفش قائلا : انت اعلم الناس بالنحو فلم لا تجعل كتبك مفهومة ؟ وما بالنا نفهم بعضها ولا نفهم اكثرها ؟ وما لك تقدم بعض العويص وتؤخر بعض المفهوم ؟

فيجيبه الاخفش قائلا : انا رجل لم اضع كتبي هذه لله ، وليست هي من كتب الدين ، ولو وضعتها هذا الوضع الذى تدعوني اليه لقلت حاجات الناس الي فيها ، وانما قد كسبت في هذا التدبير اذ كنت الى التكسب قد ذهبت •

فهل صدق الاخفش حين زعم ان التكسب وحده هو سبب التعقيد والابهام في كتاباته ؟؟ وهل ان ذلك الدافع هو شأن علماء النحو كلهم ؟؟ وما دمنا نتحدث عن الابهام في قواعد اللغة فلابد من ذكر رأى احد الكتاب[٢] لطرافته ، وموجز ذلك الرأى ان التعقيد الذى اصاب اللغة وقواعدها امر مقصود ، استهدفه علماء النحو وغالبيتهم من غير العرب ، للنيل من اللغة العربية التي هي عامل مهم في القومية العربية • ان مثل هذا الرأى يحتاج الى روية وتثبت قبل الاخذ به ذلك لان قسما من علماء النحو كانوا من العرب • كما ان الخدمات الجليلة التي قدمها النحويون بصورة عامة للغة العربية لا يمكن ان تفسر تفسيرا سيئا وان تشوه لمجرد ان القواعد الموضوعة تعقدت وداخلها الابهام والغموض نتيجة اسباب كثيرة سبق ان ذكرنا بعضها •

---

(٣) الحيوان للجاحظ : الجزء الاول صفحة (٩١) طبعة الحلبي •
(١) تيسير اللغة العربية : رشاد دارغوث صفحة (٩) •

آراء في تيسير اللغة العربية

قال رب اشرح لي صدري ويسر
لي أمري
واحلل عقدة من لساني يفقهوا
قولي

قرآن كريم
سورة طه (٢٣)

آراء في تيسير اللغة العربية

ان الدعوة الى التيسير في اللغة العربية ليست امرا جديدا ، بل هي قديمة قدم تذمر الناس من النحو وقواعده ، اى انها انبثقت بعد ان لمس الناس مقدار معاناتهم من تعلم اللغة العربية وما يكلفهم ذلك من ارهاق ومشقة ، فبدأ الحريصون على اللغة العربية ومستقبلها يبحثون عن سر الشكوى ويبتغون القضاء على هذه الصعوبات التي تقوم في اوجه المتعلمين ، فكثر ما كتبوه في هذا الموضوع ، وتعددت المؤلفات الباحثة فيه ، وقبل ان نعرض اراء الداعين الى التيسير نشير الى ان تلك الاراء ذات اوجه متباينة :

١ ـ فهناك من يرى ان في اللغة العربية نفسها عجزا وقصورا يقعدان بها عن مسايرة التقدم الحضاري ، ولذلك فهي لا تستطيع التعبير عن هذه المصطلحات العلمية والفنية التي اوجدها التحضر ، ثم هي لكثرة مفرداتها وتعدد تراكيبها صعبة التعلم ومدعاة للابهام . ولذا فلا مناص من هدم الاسيجة التي نحاول اقامتها حول اللغة العربية وافساح المجال امام اللهجات العامية لتتبوء مكانتها لانها هي المعبرة عن اراء الشعب وهي وسيلة التفاهم المثلى . وقد يغالى بعض الناقمين على العربية فيدعو الى اهمالها والى انشاء لغة عالمية (Espéranto) وسنعالج مثل هذه الدعاوى في الصفحات القادمة .

٢ ـ وهناك من يرى ان العربية خير لغة ، لغنى مفرداتها ومعانيها ومقدرتها على الاشتقاق والتصريف والتعريب ، ولكنهم يؤمنون بان النحو العربي في حاجة الى اصلاح وتيسير . وهم يسلكون في ذلك طريقين مختلفين ، فمنهم من يدعو الى تيسير القواعد نفسها بحذف بعض مواضيعها والايجاز في مواضيع اخرى واعادة النظر في ترتيبها وتنقيتها ، بعد ان وجدوا فيها الكثير من الغث والجاف ، وبعد ان لاحظوا انعدام التدرج الموضوعي في بعض كتبها . ومنهم من يدعو

الى تيسير تدريس تلك القواعد ، بوضع مناهج خاصة ، لانهم عانوا من مناهج التدريس المعقدة واساليب التعليم التقليدية وعدم مجاراة الطرق الحديثة في التربية والتعليم •

ان اصحاب الرأيين السابقين اغفلوا في ابحاثهم نقطة هامة ، تلك هي تأثر اللغة بالمجتمع ، فلقد سبق ان اوضحنا في الفصول السابقة ما للمجتمع من تأثير بالغ في اللغة وتطورها ، وبينا كيف ان المجتمع اذا كان متحضرا آخذا باسباب الثقافة والتمدن ، ميالا الى التقدم ، سمت لغته واتسعت تراكيبها وكثرت مفرداتها في سبيل التعبير عن المعاني التي يحدثها ذلك التمدن والتقدم ، اي ان حياة اللغة في حياة اهلها ، وان كون اللغة العربية غنية بحروفها وقابليتها للاشتقاق والتصريف والنحت والتعريب لا يغني شيئا ما دام المجتمع العربي متأخرا ، وان انصراف الادباء الى تيسير المناهج وطرق التدريس ، كل ذلك لا يرفع من مستوى لغتنا ولا يزيل شكوانا مما نقاسيه في تعلمنا ، ولن يقضي على شيوع اللهجات العامية الا في مجال ضيق ، ما دامت الاوضاع الاجتماعية والثقافية والاقتصادية في البلاد العربية مضطربة هذا الاضطراب • اذن فأمر اصلاح اللغة العربية مرتبط تمام الارتباط باصلاح المجتمع العربي والنهوض به • كما ان على كل من يحاول اصلاحا لغويا ان يدرس اولا اللغة المراد اصلاحها وحياتها ومنهج تطورها وما يؤثر فيها لكي يستطيع معرفة ما يصعب او يسهل اصلاحه ، اذ ان كل اصلاح يتنافر مع قوانين تلك اللغة الممتدة الجذور المتشعبة الفروع لن يثمر شيئا • ان الذين كتبوا حول تيسير اللغة العربية كثيرون ، ولذلك فلن نذكر من ذلك الا القليل وسنهمل المتشابه •

اراء الدكتور طه حسين :

لقد كتب الدكتور طه حسين كثيرا في موضوع تيسير اللغة العربية ، وعالجه كلما أثاره بعض المتذمرين ، وقد ادرك الدكتور كما ادرك ذلك غيره باننا نعيش في القرن العشرين وما زلنا نعلم اللغة العربية في مدارسنا

ومعاهدنا ، كما كان القدماء يعلمونها في معاهدهم ومدارسهم منذ اكثر من الف عام ، فطرق التدريس هي التي يجب ان تيسر ، وان نبتغي الى التعليم وسائله الصحيحة التي تنتهي به الينا حقا ، ويجب ان لا نكلف الكثرة الضخمة التي نعلمها ، هذه الكثرة من البنات والبنين ما نكلف به القلة التي يتاح لها الوقت والجهد والمال • واذن لابد ان يكون التعليم يسيرا لا تجد فيه الكثرة مشقة ولا عنتا ولا تحتاج فيه الى هذا العناء الثقيل الذى يفرض على ابنائنا فرضا[١] ولابد ان يعد المعلمون بشكل يؤهلهم لتعليم العربية ويساعد على ازالة ما يشكو منه الطلبة[٢] •

فالدكتور طه حسين لم ينسب الى العربية قصورا ، وانما نسب القصور كله الى طرق التدريس القديمة التي لا تتفق مع ميول الطلبة ، وارتأى ان يتم التعليم بطرق يسيرة ولكنه لم يوضح لنا او يقترح طرقا يعينها ، كي يكون في المقدور اتباعها والاخذ بها •

وعالج الاستاذ جورج كفورى[٣] وهو وزير سابق للمعارف في لبنان المشكلة فكانت اقتراحاته مبنية على دراسته لاسباب ضعف اللغة العربية ، فقد وجد ان تلك اللغة تعاني الضعف بسبب :

١ ـ تولد العامية التي سارت بجانب الفصحى تنازعها البقاء •

٢ ـ تدوين اللغة العربية وقواعدها ، الذى اصبح مانعا لتطورها ونموها •

٣ ـ الاهتمام الزائد بالاعراب ، الامر الذى يجعل المرء ينصرف اليه انصرافا كليا ويهمل المعنى •

---

(١) من مقالة بعنوان « يسروا النحو والكتابة » نشرت في مجلة الاداب البيروتية في العدد (١١) من السنة الرابعة •

(٢) مستقبل الثقافة في مصر : طه حسين (صفحة ٢٣٤ ـ ٢٩٠) ومثل هذا الرأى رأى الرصافي في محاضرته (حول التدريسات العربية) نشرتها وزارة المعارف العراقية سنة ١٩٢٦ ورأى الدكتور بديع شريف في كتابه (اصول تدريس اللغة العربية) •

(٣) اللغة العربية في ماضيها وحاضرها ومستقبلها : جورج كفورى •

اما الوسائل التي يراها كفيلة بالنهوض بالعربية فهي :

١ ـ ينبغي ان نغير موقفنا من اللهجة العامية وان لا نزدريها •

٢ ـ ان تحذف من القواعد ـ وخاصة الاعراب ـ الكثير من الاراء المتضاربة حول قضية واحدة • والاقتصار على اصح الاوجه واسهلها بحيث تتوحد القواعد ويكفي الطالب مؤونة التشعبات التي تشتت ذهنه على غير طائل •

٣ ـ الاخذ بالتعريب على نطاق اوسع مما هو عليه الان ، وذلك بنقل المصطلحات العلمية الاجنبية التي شاعت حتى صارت كالاعلام على مسمياتها •

٤ ـ ان مهمة التعليم يجب ان تودع الى علماء في اللغة جمعوا الى غزارة العلم وسعة الاطلاع ، ذهنا شفافا وذوقا لطيفا ليستطيعوا التمييز بين الكلم السائغة المستحسنة والكلم المهجورة المستهجنة •

٥ ـ ان ننبذ الكثير من المفردات التي يحسبها البعض من علائم الثروة والحياة في اللغة ، ويذكرونها في جملة ما يذكرون من حسناتها وهي في الحقيقة عبء ثقيل على عاتقها يحول دون الصراحة والدقة في العبارة ، كما علينا نبذ الالفاظ المتضادة لنفس السبب •

٦ ـ ان تأخذ اللغة العربية بمبدأ القياس الذي يزيدها سهولة وطواعية في اداء كثير من الاغراض بدلا من الاعتماد على المسموع من المشتقات •

ان اراء الاستاذ جورج كفوري لا تخلو من الصواب والدقة • ولكنها ضعيفة في بعض المواطن • فان تدوين اللغة العربية لم يكن مانعا من تطورها لولا اننا التزمنا تلك القواعد التزاما شديدا أدى بنا الى الجمود ومحاربة كل محاولة للتحرر منها ، وأضفينا على تلك القواعد قدسية وحرمة

تجعل كل محاولة للتيسير خروجا على المألوف يستحق صاحبها لوما وتأنيبا ٠

اما التعريب فان علماء النحو جوزوه ولكن في نطاق ضيق وهم انما قيدوا التعريب كي لا تسرب الالفاظ الاعجمية الى العربية بصورة كثيرة ومفسدة ٠ اذ ان الاعتماد على استعمال الالفاظ الاعجمية دون بذل الهمم لايجاد ما يقابلها في العربية سيفضي الى موت لغتنا وسيطرة اللغة الاجنبية وذلك يعني فناء حضارتنا وذوبانها ٠ ونحن اذا آمنا بمقدرة اللغة العربية على الاشتقاق والتوليد فلا داعي اذن لفتح باب التعريب على مصراعيه[١] اما مشكلة المصطلحات العلمية فما كتب احد في مشكلة العربية الا وعاب خلوها مما يقابل تلك المصطلحات سواء في العلوم او الفنون ، ومع ذلك فان هذه المشكلة لايمكن حلها بالتعريب فقط وانما نرى كما قرر مصطفى الشهابي[٢] « ان الالفاظ العلمية على نوعين ، نوع له معان واضحة يمكن ترجمتها بالعربية في سهولة ، ونوع من الالفاظ المنسوبة الى اعلام او التي هي في منزلة اسماء الاعلام ، وهذه الالفاظ هي التي تعرب ، اى تبقى على حالها على ان تتبع في تعريبها قواعد التعريب المعروفة ٠ ومهما يكن من أمر فالطرائق التي اتبعها الاجداد في نقل العلوم القديمة الى لغتنا الضادية هي التي يجب ان نتبعها في نقل العلوم الحديثة ، وخلاصتها :

١ ـ تحرى لفظ عربي يؤدى معنى اللفظ الاعجمي ٠

٢ ـ اذا كان اللفظ الاعجمي دالا على معنى جديد لا مقابل له في العربية ترجم بمعناه ، كلما كان قابلا للترجمة او اشتق له لفظ عربي مقارب ويرجع في وضع اللفظ العربي الى وسائل الاشتقاق او الى المجاز او التضمين او النحت احيانا ٠

٣ ـ واذا تعذر ذلك عمدنا الى التعريب مع مراعاة قواعده قدر المستطاع

(١) تجديد اللغة العربية : اسماعيل مظهر (صفحة ٨ وما بعدها) ٠
(٢) مجلة العلوم البيروتية العدد الاول السنة الاولى ٠

اما الدكتور أنيس فريحة[1] فيرى ان مرد الشكوى من العربية هو :

١ ـ وجود لغتين مختلفتين ، عامية تدور على السنتنا في حياتنا اليومية ، لغة سلسلة سيالة ، تتميز بفقدان الاعراب وبغنى في الحروف المصوتة التي تضفي على النطق بها مسحة تخالف النطق بالفصحى كما انها تتميز بمرونة في التركيب وسهولة في التعبير ، وفصحى تتكلفها حين نقف موقف الخطابة او حين نعلم او حين نكتب ، الامر الذى يسبب ازدواجية اللغة مما يعيق التقدم .

٢ ـ تقييد الفصحى باحكام شديدة نتيجة تأثر القدامى من اللغويين باصول المنطق الاغريقي وخاصة فلسفة ارسطو المبنية على العلة والمعلول والتقدير والاضمار والافتراض مما اوقف نمو اللغة .

٣ ـ خلو الخط العربي من الحروف المصوتة Vowels اذ ان العربية شأنها في الكتابة شأن سائر اللغات الساميات التي اقتصرت في الكتابة على الحروف الصامتة ، مما يجعل صوت الكلمة هيكلا عظميا لا حياة له ، والقراءة امرا عسيرا ، اذ ان هذه الحالة تفرض على القارىء ان يفهم اولا ثم ان يقرأ قراءة صحيحة ثانية ، وهذا على نقيض الغاية من القراءة ، غير ان الدكتور فريحة يعود ليناقض نفسه فيقول ان هذه الحالة موجودة في كل اللغات[2] .

٤ ـ عجز العربية عن اللحاق بالعلوم والفنون . اذ ان معظم التعابير الجديدة والمصطلحات المحدودة معنى واستعمالا لم تك يوما من المعجم العربي كما انها لم تك من القضايا العلمية التي عني بها الفكر العربي .

---

(١) نحو عربية ميسرة : الدكتور انيس فريحة (صفحة ٢١ وما بعدها) و « محاضرات في اللهجات واسلوب دراستها » .

(٢) محاضرات في اللهجات واسلوب دراستها صفحة (٣٥ ، ٣٦)

٥ ـ تدريس اللغة العربية وقواعدها على اساليب قديمة ٠

اما الحلول التي اقترحها الدكتور انيس فريحة[١] فهي متعددة ومنها انه يرى :

١ ـ جعل الفصحى لغة التخاطب ٠

٢ ـ فرض لهجة قائمة ٠

٣ ـ وضع لهجة موحدة ٠

اما الحل الاول فمؤداه ان نلجأ الى الكلام بلغة فصيحة معربة ونعلم اولادنا الكلام بتلك اللغة حتى اذا شبوا وجدوا انفسهم فصحاء لا يحتاجون الى كتب النحو والبيان ٠ ولكن الدكتور فريحة لا يلبث ان يعود فينقض كلامه ـ كعادته ـ فاذا به لا يؤمن بهذا الحل لان الاعراب (زخرف لغوي) لا قيمة بقائية له ، ثم لا ملزم للاخذ بالفصحى ما دامت العامية لغة حية نامية متطورة ٠

اما الحل الثاني فيعتقد الدكتور فريحة ان السلطات العليا (ويقصد بها الحكومة) تستطيع ان تفرض على الشعب العربي لهجة قائمة معينة وبذلك نحصل على لغة واحدة ، ولكن الدكتور لا يلبث ان يعلن عن ايمانه باستحالة تنفيذ هذه الفكرة لا لشيء الا لان الشعب العربي لا يذعن للاوامر وان اللبناني لا يرضى بالتنازل عن لهجته وكذلك الامر بالنسبة للعراقي وغيره ٠

ولنا على هذا الحل اعتراضان :

١ ـ ان فرض لهجة واحدة للبلاد العربية لا يحل المشاكل الناجمة عن تعلم وتعليم اللغة العربية ٠ فالاخذ بهذا الحل على فرض امكان تطبيقه عبارة عن انهزام من المشكلة وتركها كما هي بلا حل ٠٠ ثم

(١) نحو عربية ميسرة (صفحة ١٧٠ وما بعدها) ٠

ما يدرينا ان هذه اللهجة ستكون خلوا من المشاكل •• ومن سيضع قواعدها لنعلمها للاجيال ؟ • ام نترك لكل جيل لهجة ونعود بذلك الى نقطة البدء من تعدد اللهجات وتباينها •

٢ - لست ادرى كيف اقتنع الدكتور بامكان (فرض) لهجة واحدة على الشعب بعد ان قرر في عدة اماكن من كتابه ان اللغة كائن حي يخضع لمؤثرات عديدة ويؤثر في مجالات كثيرة ، ولست ادرى هل ان هذا (الفرض) سيظل خاليا صافيا بعيدا عن المؤثرات •

واما ثالثة الاثافي عند الدكتور انيس فريحة فهي (وضع) لهجة موحدة وهي لغة المتأدبين في جميع الاقطار العربية • والوضع يعني (خلق) لغة جديدة وفرضها على المجتمع لتحل محل لغة اخرى ، اى ان اللغة التي يدعو اليها ليست ناتجة عن تطور طبيعي للغة ، بل هي مصطنعة اصطناعا ثم يمضي في عرض الاراء الباحثة حول اللغة المصطنعة ، المؤيدة والمعارضة وبعد هذا يقرر ان هذا الحل هو الدواء الناجع لمشكلة اللغة العربية لاسيما وان اللهجة التي يدعو اليها ستكون خالية من الاعراب ، وانها تعتمد على الفصحى وان هذه اللهجة يمكن ان تصادف النجاح بشرط ان يكون لها ادب وان تكتب بالحرف اللاتيني وان تضبط احكامها الصرفية والنحوية والصوتية وان يقبل بها العرب •

ان من يقرأ اراء الدكتور انيس فريحة يخرج منها بشيء واحد • هو ان الدكتور مضطرب الافكار لا يدرى ماذا يريد فهو يعرض الرأى ويحاول اثبات صحته ثم لا يلبث ان يقر باستحالته او عدم صموده للنقاش وينتقل الى غيره وهكذا يدخلك معه في دوامة من الافكار المتضاربة ، فهو مثلا بعد طرح المشاكل المذكورة ومحاولته مناقشتها نراه في موضع آخر[١]

(١) من مقالة له بعنوان « هكذا يكون التيسير » نشرته مجلة (العلوم) البيروتية في عددها الرابع من السنة الثانية •

يعتقد ان سبب ضعف اللغة العربية واستمرار الشكوى منها هو الرجعية في اساليب تعليمها ، اذ مما لا شك فيه ان القواعد التي ندرسها الآن لها من القدم ما لا يناسب عقول الطلبة في هذا العصر • ويرى ان اعادة النظر في هذه الاساليب بشكل يضمن مسايرتها للعصر الحاضر ومتطلباته سيخفف كثيرا من حدة المشكلة القائمة • وهكذا يمضي الدكتور فريحة مرتكزا على نقاطه المذكورة اعلاه يوسع فيها كل يوم فيخرجها على الناس كتابا ثم يوجزها فيذيعها على الناس محاضرة ، ويبدل في الفاظها فاذا بها كتاب ثان وثالث[1] ••

اما الدكتور مصطفى جواد[2] فيرى ان معرفة مشاكل اللغة العربية تساعد على حلها ، ولذا فهو يبدأ بعرض تلك المشاكل :

١ ـ مشكلة المصطلحات : وسببها ان اكثر الالفاظ الافرنجية او الاعجمية قد اصطلح عليها في عدة علوم وفنون عند الافرنج والاعاجم ، ومما زالت محتاجة الى ما يقابلها في العربية من كلمات قديمة غير مستعملة وقديمة منقولة بطريقة المجاز وحديثة مشتقة على حسب طرائق الاشتقاق في العربية • ويرى ان الاعتماد على الاشتقاق خير طريقة لحل مشكلة المصطلحات ، لان الاشتقاق هو العون الاكبر والملاذ الأخفر للغة العربية اليوم في اعداد المصطلحات الفنية والعلمية والادبية فينبغي الاستفادة من جميع الوانه الواضحة وابوابه الواسعة •

٢ ـ مشكلة الصرف : يرى الدكتور مصطفى جواد انه كلما كثر القياس

---

(١) نشر الدكتور فريحة بعض ارائه في مجلة الابحاث التي تصدرها الجامعة الامريكية في بيروت (عدد ٣ السنة ٥ ، العدد الاول من السنة الثامنة) ثم وسعها ونشرها في كتبه ثم في مجلة العلوم العدد الرابع السنة الثانية •

(٢) من مقالة له بعنوان « وسائل النهوض باللغة العربية وتيسير قواعدها وكتابتها » نشرته مجلة العلوم البيروتية في عددها التاسع من السنة الاولى •

في الصرف زادت ثروة اللغة العربية واتسعت آفاقها وتبرأت من القصور المنسوب اليها بهتانا وعدوانا ، كما يجب ان لا يكون الصرف غاية وهو وسيلة •

٣ ـ مشكلة النحو : ان الجمود وعدم التطور وانقطاع الابداع والغموض والاستبهام من صفات النحو العربي الا ما شذ او ندر ، ونعني بالجمود اتباع قدماء النحويين في سرد القواعد وايرادها من غير عرضها على القرآن الكريم وكلام العرب وشعرهم الخالي من الضرورة والتزام اقوالهم واعتناقها اعتناق العقائد مما يحرم فيه الاجتهاد • ونعني بانقطاع الابداع عدم نسخ قاعدة او الاستبدال بها او عدم ادماجها في قاعدة اخرى ، او خلو النحو من قواعد عامة تعين على استعمال المقيد بالمراجعة لكتب النحو وكتب اللغة •

والمذهب العام الى اصلاح النحو في رأيي هو تقليل القواعد وانتقاء الشواهد من القرآن الكريم اولا ثم من الحديث النبوي المروى لفظا ثانيا ثم من نثر العرب الوارد في الامثال والايام والمقامات الصحيحة ثم من الشعر الجاهلي الصحيح صحة نسبية ، الخالي من الضرائر كائنا ما كان نوعها ، ومقياس الضرائر الاظهر هو مباينتها للنثر العربي على اختلاف الوانه ، ثم من شعر ما بعد الجاهلية • ومن ابواب النحو التي نستطيع ايصادها باب (اسماء الافعال المرتجلة واسماء الافعال المنقولة) لان المرتجلة ما هي الا افعال جامدة قديمة ومنها ما هو في طور الانتقال من الجمود الى التصرف الساذج مثل : (هلم يارجل) اى : تعال ، يستوى فيه المفرد والمثنى والجمع والمؤنث والمذكر في لغة اهل الحجاز اما المنقولة فدعوى نقلها واضحة البطلان ، فليس في النحو مختبر كيمائي نحوى يحيل العبارة الى غير اعيان كلماتها وليس فيه مذهب تناسخ •

وهناك مواضيع نحوية يجب ادماجها ببعضها ، فمثلا يجب ادخال

صيغتي التعجب في ابوابها الاصلية فـ (ما افعله) داخل في جمل الاستفهام التعجبي ، و (افعل به) داخل في باب الامر ، ويحسن ادماج باب الفاعل ونائبه في باب المبتدأ والخبر ، وتسمية الاسم المرفوع المتحدث عنه في الجملة (المخبر عنه) وتسمية التحديث عنه (الخبر) •

ويحسن الحاق المنادى العلم والنكرة المقصودة بالاسماء المرفوعة • كما يرى الاستعانة بعلم المعاني لحل مشكلات النحو وازالة الشذوذ وذلك للتفادي من التأويلات الباردة كما فعلوا في (سلام عليكم) و (ويل له) •

والذى اراه ان اقتراحات الدكتور مصطفى جواد هـذه لا تخرج عن كونها محاولة لتنسيق مواضيع النحو بشكل يقربها الى الافهام •

٤ ـ مشكلة المعاجم : يرى الدكتور مصطفى جواد ان جمود المعاجم العربية وسوء ترتيبها يساهم مساهمة كبيرة في هذا العسر الذى نشكوه في اللغة العربية ، وان اعادة ترتيبها بشكل يسهل الرجوع اليها امر ضرورى للقضاء على بعض المشاكل القائمة •

اما الاستاذ يوسف السودا(١) فله اراء في تيسير قواعد اللغة العربية ، لم يتسنى لى الاطلاع على تفاصيلها ، وقد دعا اقتراحه بـ (الاحرفية) • ومجمل اقتراحه هو تعديل في بعض قوالب الاعراب • فالمعروف ان معظم القواعد يستهدف معرفة تحريك اخر الكلمة • ومن المعروف ان النحاة حددوا الاصل في حركة الفعل ، فقالوا ان الاصل في الماضي الفتح وفي المضارع الضم وفي الامر السكون ، ولكنهم ـ في باب الاسم ـ لم يذكروا ما هو الاصل • ولا يخفى ان القسم الاكبر من القواعد في باب الاسم يعنى بتعليل حركة الرفع والنصب والجر • فجاءت الاحرفية تسد هذا النقص بالقاعدة الجديدة : الاصل في الاسم الرفع ، فما كان مرفوعا لا يسأل عن علة

---

(١) مجلة (الاحد) العدد (٥٠٦) سنة ١٩٦٠ من مقالة له بعنوان (الاحرفية) •

رفعه ، فلا يبقى الا تعليل النصب والجر • ويرى صاحب الاقتراح ان هذه القاعدة ستوفر الكثير من الوقت لمتعلمي العربيـــة وتغنيهم عن الـــكثير مـــن القواعـــد •

ويرى الدكتور جميل سعيد[1] ان الشكوى من النحو وكتبه لا تزول الا اذا اعيدت كتابة النحو بشكل جديد ، ذلك لان الذين كتبوا النحو في اول الامر كانوا – في الغالب – من الاعاجم وقد حشروا فيـــه من الامور الكثيرة التي يعرفها العربي ، بفطرته ، كما ان النحو كتب على لغة الشعر فاتخذت شواهده من الاشعار ولغة الشعر غير لغة النثر ، اذ قد يقدم الشاعر ويؤخر لاسباب اضطرارية او بلاغية فعد علماء النحو ذلك قاعدة خاصـــة الا ان الدكتور لم يدلنا على الطريقة الجـــديدة التي سيكتب بها ، وكيف سيصنف مواضيع النحو تلك ومواده وبأي لغة سيستشهد • اما قول الدكتور بان قواعد النحو فيها امور كثيرة يعرفها العربي بفطرته فهو لا ينطبق على الواقع تماما • لان تلك القواعد انما وضعت لصيانة لسان العربي اذ تطرق اليه اللحن ولتعليم غير العربي ايضا ، وتلك القواعد بالنسبة للاخير مجهولة•

اما الدكتور مهدي المخزومي[2] فيرى ان دراسة العربية تحتاج الى اصلاح جذرى لا يكفيه تنسيق الموضوعات القديمة ولا الاخراج الجميـــل ولا احداث الطرائق التربوية التي تناول الموضوعات القديمة كما تناولهـــا الدارسون الاولون ويعالجونها معالجة سطحية فيسمى الدارسون هـــــذه المعالجة طريقة استنتاجية او طريقة استقرائية ، فلن ينفع تجديد الاسلوب اذا كان الموضوع المدروس متغضناً باليا فان هذه الموضوعات وتلك المصطلحات التي تمخضت عنها عقلية الدارسين في القرن الثامن للهجرة لم تعد ملائمـــة

---

(١) من مقالة له بعنوان (جولة في كتب اللغة العربية) نشرت في مجلة المعلم الجديد (الجزء ٥ ، ٦) من السنة (١٢) •

(٢) من مقالة له بعنوان (دعوة جادة في اصلاح العربية) نشرت في مجلة المعلم الجديد (الجزء ١) من السنة (١٨) •

للذوق الحديث ولا للعقلية الحديثة ، وخاصة بعد ما درست المناهج وأرجع كل موضوع الى منهج يناسبه ، لقد صاحبت نشأة الفنون اللغوية نشأة الفلسفة الكلامية التي اعجب الدارسون بها وبأساليبها وأثرت في عقولهم فكان ان تأثرت الميادين اللغوية بها فأخذوا يتناولون الظواهر اللغوية والقضايا الادبية تناولا عقليا . ولذلك فان الدكتور المخزومي يقترح حلا لمشكلة ان يدرس النحو الكوفي بدلا من النحو البصرى ، لانه يأخذ على الثاني مآخذ عديدة هي[1] :

١ ـ ان النحاة البصريين يعتبرون اللغة العربية بما فيها من لهجات مختلفة لهجة واحدة . مع ان القبائل كانت تختلف فيما بينها اختلافا بينا في الالفاظ والاعراب .

٢ ـ انهم وضعوا قواعدهم قبل استكمال استقراءاتهم الامر الذى اضطرهم بعد ذلك الى الالتجاء الى القياس والتأويل البعيد عن الحقيقة[2] .

٣ ـ انهم اعتمدوا في استشهادهم على لهجات الاعراب الذين يسكنون الصحراء وابعدوا عن مجال بحثهم لغة الاعراب الذين استوطنوا الامصار[3] .

---

(١) مدرسة الكوفة : (صفحة ٧٢ ـ ٨٢) .

(٢) قال بهذا الرأى بعض القدماء منهم الرازى في تفسيره .

(٣) الواقع ان النحاة اقتصروا على تدوين كلام القبائل الساكنة في وسط الجزيرة كاسد وقيس وهذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين . ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم وبالجملة فانه لم يؤخذ عن حضرى قط ولا من لخم وجذام لمجاورتهم اهل مصر والقبط ، ولا من قضاعة وغسان واياد لمجاورتهم اهل الشام واكثرهم نصارى يقرأون العبرية ولا من تغلب لمجاورتهم الروم ولا من بكر لمجاورتهم للنبط والفرس ولا من عبد القيس وازد عمان لانهم كانوا بالبحرين مخالطين لاهل فارس والهند ولا من اهل اليمن لمخالطتهم تجار الحبشة ، ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة وثقيف واهل الطائف لمخالطتهم تجار اليمن من المعيذين وغيرهم وقربهم من الجاليات اليمنية ولا من حواضر الحجاز لان السنة اهلها كانت قد فسدت حينئذ لامتزاجهم بامم كثيرة .

٤ - استبعادهم الاستشهاد بالحديث ، لان رواته كانوا من الموالي وهم عرب بالتعلم لا بالسليقة[١] .

٥ - اعتبارهم اصول اللغة كاصول المنطق ، لها من العموم والشمول ما للمنطق من عموم وشمول ، وكان هذا سبب وقوعهم في مشاكل عديدة .

لا مراء في ان الدكتور المخزومي مصيب في قوله ان الفلسفة الكلامية كانت ذات أثر بعيد في النحو العربي وتناوله تناولا عقليا ، ولكن هذا على ما اظن لا يقعد بنا عن محاولة الاصلاح والتيسير . ولكن السؤال الذي يبرز هنا هو هل ان في الاخذ بالنحو الكوفي حلا للمشكلة القائمة او تيسيرا للنحو وقواعده كما يريد ان يثبت الدكتور المخزومي ؟؟ ان انتقاص النحو البصري لا يعني صلاح النحو الكوفي ذلك لان :

١ - النحو الكوفي نفسه اساسه النحو البصري ، منه انشق وتفرع وكما أثرت الفلسفة الكلامية على نحاة البصرة ، غلبت على عقول نحاة الكوفة والدكتور المخزومي يؤيد ذلك[٢] ويقره .

٢ - ان الاخذ بالنحو الكوفي يستلزم اولا التسليم بصحة قواعد ذلك النحو والركون الى اراء اصحابه ، وهذا أمر ليس بالهين كما يظن المهاجمون للنحو البصري .

٣ - النحو الكوفي لا يخلو - مثله في ذلك مثل النحو البصري - من اراء عقيمة واستنتاجات تافهة سببها ولع بعض النحاة بالمنطق واللعب بالالفاظ .

---

(١) ليس هذا السبب هو وحده الذي جعل النحاة يمنعون الاستشهاد بالحديث بل هناك اسباب كثيرة اغفلها الدكتور المخزومي ولا ندري لماذا . كما ان النحاة لا يتفقون كلهم على منع الاستشهاد بالحديث : راجع (في اصول النحو : سعيد الافغاني صفحة ٤١-٥٤) .

(٢) مدرسة الكوفة (صفحة ٦١) و (صفحة ٨٩) .

٤ ـ غالى نحاة الكوفة في اعتمادهم على السماع ، حتى اخذوا يقيسون على اللفظة الواحدة في الشعر او النثر وان كانت نادرة ومن هنا جوزوا كثيرا مما لا يجوز عند نحاة البصرة وفي كتاب الانصاف : الانباري : امثلة كثيرة على قياس اهل الكوفة .

٥ ـ هناك كثيرون[١] خالفوا البصريين وخرجوا عليهم ، كما خالفوا الكوفيين وخرجوا عليهم ، ولهم اراء صائبة فاين سيكون مصيرها اذا أخذنا بالنحو الكوفي دون غيره ؟

٦ ـ واخيرا فان الاخذ بالنحو الكوفي يستلزم جهودا كثيرة ، وتغيرات شاملة في المناهج الدراسية كلها ، وما اظن ان الدكتور مهدي المخزومي يعتقد ان ذلك ايسر من التيسير نفسه .

اما الاستاذ كمال ابراهيم[٢] فيقول عند الكلام عن التيسير :

« اما من حيث المنهج فقد جانب التوفيق واضعيه من حيث اختيار المواد وتثبيتها للصفوف المختلفة ، اذ يعطى الطلاب من المعلومات ما هو فوق افهامهم فيصعب عليهم ادراكه وتمثله او تنعدم الرابطة والعلاقة بين الموضوعات او يقحم في المنهج ما لا حاجة اليه من المعلومات وما لا يدور في اساليب الكلام فلا يهتدون الى فهمه ولا يحسنون استعماله فيما يكتبون ويتحدثون » .

والذى يفهم من قول الاستاذ كمال ابراهيم انه يرى التيسير في تنظيم المناهج الدراسية بشكل يتفق مع مدارك الطلبة ومستوياتهم . وهذا على ما نعلم امر يعد من البديهيات في التعليم ، ولا أظن ان المشكلة كلها قائمة عليه فهناك اسباب واسباب ..

---

(١) واشهرهم ابن جني ، وعبدالقاهر الجرجاني .

(٢) من مقالة بعنوان (انحطاط العربية في العراق واسبابه) نشرت في مجلة (الاستاذ) المجلد الرابع من السنة ١٩٥٥ .

اما الاستاذ محمود البريكان[١] فانه يرجع ضعف العربية الى اسباب في تلافيها نهوض باللغة العربية تلك الاسباب هي :

١ – قلة المدرسين المختصين البارعين .

٢ – مضمون المناهج والاسلوب المتبع في تأليف الكتب المدرسية ومن ثم تدريس محتوياتها حسب الطريقة القديمة .

وللاستاذ المرحوم طه الراوي[٢] اراء قيمة في هذا المضمار حيث يقول :

« ارى على المصلحين من رجال العلم ان يتوافروا ويتضافروا على وضع الكتب السهلة في جميع فروع اللغة العربية على ضوء الحقائق العلمية التى أقرها رجال التربية والتعليم في العصر الحاضر ، فالواجب يقضي على علماء اللغة ان يضعوا للمبتدئين بل للشداة من المتعلمين معاجم تجمع بين سلاسة الترتيب وسهولة المراجعة ليردوها ظماء ويصدروا عنها رواء مع اقتصاد في الوقت والعناء . وعلى المجامع العلمية في الممالك العربية ان تضع معجما واسعا يكون موردا لواضعي المعاجم المختصرة ومرجعا لرجال العلم والادب من ابناء العرب وغيرهم ، ينطوى على المصطلحات العلمية زيادة على الالفاظ اللغوية ، فيكون وافياً بحاجة العالم والاديب والقارىء والمؤلف على حد سواء . وكذلك يجب وضع كتب في الصرف والنحو تتفق وحاجة الطلبة في المدارس الابتدائية اولا ، تتوفر فيها الاصول التعليمية الحديثة بان يقتصر فيها على اللباب من القواعد العملية التي تلائم قابليات الطلاب وتنطبق على مستواهم العقلي من غير ما زيادة ولا نقص وان يكثر من التمارين التي من شأنها ان تقرر في ذهن الطالب اتقان القاعدة والانتفاع بها عمليا في وقت واحد . وان ترتب القواعد ترتيبا منطقيا فيرتقى فيها من

---

(٣) قواعد اللغة ومشكلة تعليمها للناشئة العربية : تاليف محمود البريكان .

(١) من مقالة بعنوان (تيسير العربية على المتعلمين) نشرت في مجلة (عالم الغد) العدد الثالث من السنة الاولى .

الاسهل الى السهل ومن السهل الى الصعب ومن الصعب الى الاصعب . كما ينبغي ان تبوب تبويبا رياضيا فلا تعرض على الطالب قاعدة الا بعد التمهيد لها بالمقدمات التي تقوم عليها تلك القاعدة ، فلا يجوز مثلا ان تعرض لقاعدة التعدى قبل معرفة الفعل والنصب والفاعل والمفعول وعلى المؤلفين ان يتجنبوا ذكر التعاريف ذات القيود المتراكبة والاحترازات المتراصة لان ذلك يستنفد جهود الطلاب ويستبد باوقاتهم ثم لا يجديهم نفعا . واخيرا طبع الاثار العلمية والادبية التي يعم بها النفع طبعا علميا مدققا جامعا بين سلامة التصحيح وامانة التعليق » .

* * *

الحقيقة ان المحاولات السابقة لا تخلو من الرأى الصائب النافع ، ولكنها ما جاوزت كونها اشارات الى بعض مواطن الداء . اى ان اصحابها وجلهم من اصحاب الاختصاص لم يقوموا بعمل ايجابي بناء من شأنه ازالة ما يشكون منه .. بل اقتصر الامر على هذه الاقتراحات يسطرونها على الورق . الا ان هناك محاولات جادة في اصلاحها وان كان لم يكتب لها النجاح الشامل . ومن تلك المحاولات جهود الاستاذ ابراهيم مصطفى[١] ، فقد كانت محاولته للتيسير ، والتي عكف عليها سبع سنين ، تتصف بالعمق والشمول . وقد اتبع في بحثه الخطوات الرئيسية التالية :

١ ـ استقصاء قراءات القرآن الكريم السبع عند دراسة القواعد .

٢ ـ استقراء الشواهد العربية في الشعر والنثر وكلام العرب .

٣ ـ محاولته تتبع المسائل النحوية بشكل تاريخي ، يبحث فيه عن نشأتها وكيفية تطورها .

٤ ـ الانتفاع بمناهج البحث الحديثة عند دراسة القواعد ثم اصدار حكم بعيد عن الصناعة اللفظية والجدل المنطقي .

---

(١) احياء النحو : ابراهيم مصطفى .

وقد لاحظ الاستاذ ابراهيم مصطفى اثناء بحثه ذاك ان علامات الاعراب حين تختلف لا ينعكس تأثير ذلك على المعاني .. فالى اي شيء تشير تلك العلامات اذن ؟ يجيب الاستاذ الباحث على هذا السؤال قائلا :

١ ـ ان الرفع علم الاسناد ودليل ان الكلمة يتحدث عنها .

٢ ـ ان الجر علم الاضافة سواء اكانت بحرف ام بغيره .

٣ ـ ان الفتحة ليست بعلم على اعراب ولكنها الحركة الخفيفة المستحبة التي يحب العرب ان يختموا بها كلماتهم ما لم يلفتهم عنها لافت ، فهي بمنزلة السكون في لغتنا الدارجة .

٤ ـ ان علامات الاعراب في الاسم لا تخرج عن هذا الا في بناء او نوع من الاتباع .

٥ ـ ان ما يسميه النحاة علامات فرعية ، كالواو والالف والياء كما في الاسماء الخمسة ، هي اشباع لحركات الاعراب الاصلية .

وقد خلص الباحث من دراسته الى نتائج مهمة لها شأن في موضوع التيسير تلك النتائج هي :

١ ـ ان اهتمام علماء النحو باواخر الكلمات فقط والانصراف عن المعاني والعناية بها جعلهم يبعثرون مواضيع النحو في كتبهم بشكل يبعث على الارباك ولا يعين على الفهم فموضوع النفي مثلا يدرس مفرقا على ابواب الاعراب كما يلى :

(أ) ليس : تدرس في باب كان لانها تعمل عملها ، مع العلم ان كان للاثبات والمضي ، وليس للنفى والحال .

(ب) ما ، ان : تدرسان في باب الحق بـ (كان) .

(ج) غير ، الا ، سوى : تدرس في باب الاستثناء .

(د) لن : تدرس في نصب الفعل .

(هـ) لم ، لما : تدرسان في جزم الفعل .

وكذلك الامر بالنسبة الى التأكيد والتقديم والتأخير . وان اعادة النظر في هذه الابواب الممزقة وجعل الموضوع الواحد جامعا لكل ما يتصل بـه سيسهل علينا مهمة تعلم النحو وتعليمه .

٢ ـ الغاء نظرية العامل[١] ، لانها سر هذه المماحكات اللفظية والجدل الفارغ بين النحاة . والرجوع الى المعنى عند الاعراب واعتبار الرفع علامة الاسناد والجر للاضافة ، والفتحة ليست بعلامة على الاعراب . وقد اثار كتابه نقاشا شديدا لاحتوائه على آراء لم يألفها الذين اعتادوا القديم وألفـوه .

وفي مصر اتخذت حركة التيسير طابعا رسميا . فقد عهـدت وزارة المعارف فيها الى لجنة قوامها الدكتور طه حسين ، الاستاذ المرحوم احمد أمين الاستاذ ابراهيم مصطفى ، وعلي الجارم ، محمد ابو بكر ابراهيم ، عبدالمجيد الشافعي ، لتبحث المشكلة نفسها . وقد وجدت اللجنة المذكورة مآخذ ثلاثة في العربية وقواعدها .

اولها ـ وجود فلسفة حملت القدماء على ان يفترضوا ويعللوا ويسرفوا في الافتراض والتعليل .

ثانيها ـ اسراف في القواعد . نشأ عنه اسراف في الاصطلاحات .

ثالثها ـ امعان في التعمق العلمي باعد بين النحو والادب .

---

(١) ان الاستاذ ابراهيم مصطفى لم يأت بجديد حين دعا الى الغـاء العامل . فقد سبقه في ذلك ابن مضاء القرطبي في القرن السادس حيث دعا في كتابه (الرد على النحاة ـ تحقيق شوقي ضيف) الى الغاء نظرية العامل والغاء القياس والتمارين غير الواقعية ، بعد ان وجد ان الفلسفة والمنطق قد أفسدا النحو وبعدا به عن الحس اللغوى وجماله .

وعلى هذه الاركان الثلاثة قام التقرير الذي وضعته اللجنة متضمنا اقتراحات متعددة تهدف التيسير وكان مما اقترحته الاستغناء عن الاعرابين المحلي والتقديري واعتبار حركات الاعراب اصلية كلها حسب مواضعها ، وان يكون لكل حركة لقب واحد في الاعراب والبناء وان يكتفي بالقاب البناء . كما اقترحت تسمية المسند اليه بالموضوع والمسند بالمحمول وهي تسمية مأخوذة من علم المنطق ، وارتأت الغاء الضمير المستتر جوازا او وجوبا وان يدرس موضوع التعجب والتحذير والاغراء على انها تمثل بعض اساليب اللغة العربية ، كما اقترحت ان تترك مواضيع الصرف لما فيها من ارهاق للمبتدئين ، على ان يدرسها من يريد التفقه في اللغة العربية .

وما كاد تقرير اللجنة ينشر على الناس حتى قامت جماعات كثيرة تناقشه او ترد عليه ومن تلك الجماعات من التزم طريق الاقدمين وتعليلهم وأبى الخروج عليها كالشيخ محمد آل الجزائري[1] وآخرون ارتضوا بعض ما جاءت به اللجنة ورفضوا بعضه وآتوا باشياء جديدة كالاستاذ أمين الخولي[2] وعبدالمتعال الصعيدي[3] . واهتم الناس كثيرا بهذا الجدل الذي تنقله اليهم الصحف السيارة ، حتى اشترك فيه كثيرون ولكن لا نتيجة حاسمة وراء ذلك كله .

وفي السنة **١٩٥٧** عقد في مصر مؤتمر لمفتشي اللغة العربية في المرحلة الاعدادية ، وقد بحث المؤتمر[4] المواضيع التالية :

---

(١) نقد الاقتراحات المصرية في تيسير العلوم العربية : الشيخ محمد الجواد الجزائرى .

(٢) من مقال له بعنوان (تذليل اضطراب الاعراب والقواعد) نشر في مجلة كلية الاداب بمصر في مجلدها السابع من السنة ١٩٤٤ ، اشار اليها عبدا المتعال الصعيدى في كتابه (النحو الجديد) .

(٣) النحو الجديد : عبدالمتعال الصعيدى .

(٤) جمعت المحاضرات التي القيت في المؤتمر المذكور وطبعت في كتاب عنوانه (الاتجاهات الحديثة في النحو) .

١ ـ الاتجاهات الحديثة في طرق تدريس النحو ٠
٢ ـ مناهج البحث النحوي ٠
٣ ـ الاتجاهات الحديثة في تيسير النحو ٠
٤ ـ المسند اليه والمسند ٠
٥ ـ الضمائر في اللغة العربية ٠
٦ ـ حلول الجملة محل المفرد ٠
٧ ـ التكملة ٠
٨ ـ الاساليب في دراسة النحو ٠
٩ ـ الترتيب بين اجزاء الجملة والجملة الموجزة ٠
١٠ـ الغاء الاعراب التقديري والمحلي ٠
١١ـ الاسس التربوية والنفسية للاتجاهات الحديثة في تيسير النحو ٠

غير ان ذلك المؤتمر لم يخرج بحل حاسم حتى الآن ٠ الامر الذي جعل الاستاذ علي النجدي ناصف[١] يقول « بان مثل تلك المؤتمرات والدراسات التي لا تخلو من الارتجال تؤدي الى البلبلة واضاعة الوقت بدلا من الفائدة ويقترح ان يغلق هذا الباب لان الاستقرار على كل حال أبرك ثمرة ، واذا كان في النحو شيء لا نتبينه الآن ، فان رجال العربية وهم بحمد الله كفاة متخصصون ، احق ان يتداركوه مع الايام وعلى نور من التجربة والمعاناة ، لا على حدس من وهم واهم او خيال متخيل فيكون الاصلاح او التجديد استجابة لداعية مقتضية وتحقيقا لحاجة ملحة » ٠

وللاستاذ الجنيدي خليفة آراء نشرها في كتابه (نحو عربية افضل) ناقش فيها النحو العربي وما في بعض قواعده من تعقيد واطنب في مشكلة الرسم العربي وقدم بشأنها بعض الاقتراحات[٢] ٠ وحمل على الاعراب

(١) من قضايا اللغة والنحو من صفحة ١١٣ ـ ١٣١ ٠
(٢) راجع الفصل الخاص بمشكلة الخط العربي من هذا الكتاب ٠

بشدة ، لانه متأخر في الذكر بالنسبة الى تركيب الكلمة من حروفها ، فكانه عملية ثانية واضافية على الناطق ان يقوم بها في حين ان الذهن انما يتجه اولا الى بداية الكلام لا الى اخره . والاعراب في رأيه حلية وزخرف(١) . ويرى انه لا مناص من اهمال الكثير من القواعد النحويـة والصرفية التي لا جدوى من ورائها سوى ارباك الذهن .

واصدر الاستاذ محمد علي كمال الدين كتابه « تيسير العربية » وهو يدل على مقدار الجهد الذي بذله المؤلف للالمام في موضوعه . لقد حاول المؤلف في كتابه ان يثبت ان السكون اصل وان حركات الاعراب عارضة وذلك للتخلص من مساوىء الاعـــراب ومشاكله ، كما حاول ان يشمل تيسيره بعض القواعد الاخرى كأختزال ابواب الثلاثي الى خمس بدلا من ست واطلاق القياس في مصادر الافعال الثلاثية بدلا من جعلها سماعية ..الخ وهو في محاولاته تلك يحاول الاستناد الى اقوال القدامى وان كانت شاذة او غريبة ، كما يحاول ان يستمد العون لآرائه من اللهجات العامية السائدة .. وهو في هذا لم يأت بشيء جديـــد فقد سبقه اخرون في القـول بضرورة الاستفادة من العامية لجعل الفصحى ملائمة لهذا العصر ، وتخلصا مـــن الكثير من التعقيدات .

وفي سنة ١٩٥٨ أخرج الشيخ يوسف كركوش كتـاب « رأي في الاعراب » محاولة منه في ارجاع النحو الى الفطرة العربية السليمة وتخليصا له من (السخافات) التي اشـغل النحويون بها الناس . ومحاولتـــه تلك تتلخص في الدعوة الى الغاء العامل ونبذ التعليلات المتكلفة بعد درس القواعد النحوية من جديد بصورة علمية بعيدة عن المؤثرات التي اثرت على النحاة والنحو في السابق . وبحث في اعراب الفعل المضارع دون البحث عـــن تأثير العامل فيه فوجد : « ان الضمة علم الاسناد بمعنى ان المسند اليه والمسند

---

(١) نحو عربية افضل : صفحة (٢١) .

يرفعان لكونهما ركنين في الكلام ، والمضارع ـ كسائر الافعال ـ يقع دائما مسندا فمن حقه الرفع ، فاذا اراد المتكلم به البت والقطع جزمه • وان لم يكن هناك جازم كما جاء في بعض الآيات مجزوما ولم يكن جازم مثل « الله يأمركم ان تذبحوا بقرة » باسكان الراء من يأمركم تشديدا للامر •

واذا صرف النظر عن معنى الفعل التطابقي اي الدلالة على حصول عمل في زمن ، الى معناه التضمني ، وهو المعنى المصدري • حينئذ ينصب فاذا قلت : يعجبني ان تدرس كان معنى الكلام يعجبني دراستك وهو معنى مصدري ، ولذا ينصب المضارع اذا دخلت عليه أن المصدرية »[1] •

ولم يثر الكتاب اي ضجة كما تمنى مؤلفه لعدم احتوائه على شيء جديد ، اذ قال قبله آخرون بالغاء نظرية العامل •

مما تقدم نستطيع القول ان مشاكل العربية التي يجب ان ينصرف اليها الاصلاح هي : ١ ـ مشكلة النحو العربي ٢ ـ مشكلة اللغة العربية ٣ ـ مشكلة الخط العربي ٤ ـ مشكلة اللهجة العامية :ـ

١ ـ **مشكلة النحو العربي :** فلقد رافقت نشأة النحو ونموه عوامل كثيرة أدت الى ما هو عليه من التعقيد والابهام • وان انصراف بعض المخلصين الى اعادة النظر في تلك القواعد وترتيبها بشكل بعيد عن التكلف والجمود سيقضي على الشكوى القائمة • كما اننا يجب ان لا نغفل نقطة هامة ، تلك هي ان تعليم اي لغة ، ليس من الامور التي يستطيعها كل شخص • لذا وجب ان يكون القائم بتعليم العربية ممن امتاز بالاطلاع الواسع والادراك العميق والذوق المرهف ، كي لا ينفّر الطلبة من لغتهم بجهله وجموده وضعف حجته وانحطاط ذوقه •

---

(١) رأي في الاعراب : صفحة (٢٨) •

٢ ـ **مشكلة اللغة :** عيب على العربية كثرة مفرداتها ومترادفاتها ، وخلوها مما يقابل المصطلحات العلمية الاجنبية •

ولقد سبق ان اوضحنا بعض الآراء عن نشـــوء الترادفات • ونزيد على ان تلك الكثرة في المفردات لن تقف حاجزا لمن اراد تعلم وتعليم العربية ، ولن تحول دون سيرورتها لغة أمة حضارية متمدنة اذا استطعنا بجهودنا ان نضع الحدود بين المفردات التي يظن انهـــا متشابهة المعاني ، وذلك بوضع المعاجم الحديثة التي تعين على فهـــم المعنى بوضوح وسهولة ، واذا تضافرت القوى لاشاعـة الالفاظ ذات المفاهيم الواضحة والاجهاز على الالفاظ المبهمة • وذلك لا يتم الا من قبل الادباء والكتاب ، بما يؤلفون وينشرون على الناس •

اما المصطلحات العلمية والفنية وخلو العربية منها فقد قلنا ونكرر ان هذا الامر مرتبط بنهوض الامة العربية وتقدمها لا باللغة ذاتها •

٣ ـ **مشكلة الخط العربي :** وهذا ما سنتناوله بالبحث في الصفحات التالية •

الخط العربي ومشاكله

ليس هناك رسم واحد يمثل
اللغة المتكلمة كما هي

« قندريس »

مشكلة الخط العربي

ان جل الذين بحثوا في تيسير اللغة العربية صرفوا جهودهم الى القواعد النحوية والصرف والمفردات ولم يولوا الخط العربي اي اهتمام . غير ان ذلك لا يعني ان مشكلة الخط العربي لم تبحث نهائيا ، فلقد بحثها الكثيرون بشكل مستقل عن البحوث المتعلقة بتيسير قواعد اللغة ، واقترحوا بشأنها اقتراحات مختلفة . وسنحاول بحث نشأة الخط العربي[١] قبل الاتيان على مشاكله والحلول المقترحة لها :

لقد اجتاز الرسم العربي خمس مراحل في تطوره هي :

١ - ان اقدم رسم وصلت الينا اللغة العربية مدونة به كان مشتقا من خط المسند « وسمي هذا النوع بالمسند لانه كثيرا ما كان يزبر على الصخر او الحجر فكانه كان يسند اليه »[٢] والمقصود به الخط اليمني وهو مشتق من الكنعاني ، ويكتب عادة من اليمين الى الشمال واحيانا بالعكس وعدد حروفه تسعة وعشرون صوتا ساكنا ، بينما ليس فيه ما يشير الى اصوات المد الطويلة والقصيرة علاوة على خلوه من الاعجام (النقط) ويرجح الباحثون ان القبائل المعينية التي نزحت من اليمن الى المناطق الشمالية هي التي حملت ذلك الخط معها .

٢ - ثم اخذ الرسم النبطي يتغلب في تدوين اللغة العربية على غيره « ولقد سمي بالخط النبطي لانه كان مبثوثا في الديار التي كان فيها النبط ، اولئك النبط الذين كان لسانهم عربيا او قريبا كثيرا من العربية ، لا نبط العراق او البطاح »[٣] وانما تغلب الخط النبطي على غيره من

---

(١) للتفصيل راجع كتاب فقه اللغة : الدكتور علي عبدالواحد وافي صفحة (٢٤٦) وما بعدها .

(٢) رسالة في الكتابة العربية المنقحة : انستاس الكرملي صفحة (٢) في المكتبة العامة ببغداد تحت رقم ٨٦/٤٠٠ .

(٣) المصدر السابق .

الخطوط لانه كان يمثل حضارة من ارقى الحضارات السامية آنذاك ، هي حضارةالآراميين ، واقدم أثرعربي وصلنا ، مدون بالرسم النبطي في اشـكاله الحديثـة التي تتصل فيها الحـروف بعضها ببعض ، وهو يحتوي على الاصوات الساكنة فقط ويخلو من الاعجام ايضا •

٣ – ومن الرسم النبطي ظهر في الكتابة العربيـة نوع ثالث ، يقرب في صورة حروفه من صورة الحروف التي نستعملها الآن وهو يقتصر ايضا على الاصوات الساكنة وخال من الاعجام •

٤ – ثم تأثر الرسم العربي بالرسم السرياني ، ودخلت فيه اصلاحات كثيرة منذ القرن السابع الميلادي ، فتحول الى خط سريع تدون به المكاتبات العادية لا النقوش وحدها ، ودخل عليه نظام الاعجام للاشارة الـى اصوات لانظير لها في اللغات السامية الشمالية التي نشأ فيها الخـط السامي القديم وذلك للتميز بين الحروف المتشابهة الشكل المختلفة النطق • ولكنه ظل مرحلة طويلة مقتصرا على الرمز الى الاصوات الساكنة ومجردا من علامات التميز بين الحرف المشدد والمخفف •

٥ – ثم ادخل على الخط العربي نظام الرمز الى اصوات المد الطويلة وهي الهمزة والياء والواو ، وكذلك نظام الحركات •

وقد استخدم الرسم العربي في العصر الحاضر عـند جميع الامم الناطقة بالعربية ما عدا اهل مالطة فلهجتهم ترسم بحروف لاتينية • وقـد استخدم الخط العربي كذلك في تدوين لغات اخرى غير العربية ، كالفارسية والتركية (قبل تبديلها الى اللاتينية) ولغة مدغشقر وزنجبار وبعض اللغات الهنـدية •

عيوب الخط العربي :

نستطيع القـول بان الذين بحثوا الخـط العربي اتفقوا على ان فيـه العيوب التالية :

١ ـ الحركـــات :

ان الحركات ذات اهمية بالغة بالنسبة للعربيــة • فالكلمات يجب ان تحرك لكي يكون بالمقدور قراءتها قراءة صحيحة • اي ان على المرء ان يفهم اولا المعنى لكي يستطيع ان يقرأ قراءة صحيحة وذلك بعـــكس اللغـات الاوربية[١] وخير مثال على ذلك هو اسماء الاعلام سواء كانت اسماء الامكنة والبلدان او الجبال والبحار والاشخاص اذ على القارىء ان يحفظ الكلمة ويضبطها قبل قراءتها • ولذا تضطر المعاجم الى النص على حركات حروف بعض الكلمات فتقول (صفين) بكسر الصاد المهملة وتشديد الفاء الموحدة بالكسر ••• الخ • وعلى ذلك يكون من اللازم ان يكون المرء ملما بقواعد العربية واوزان مفرداتها الماما تاما ليقرأ الخط العربي بشكل صحيح •

لا نكران ان للحركات الاهمية البالغة في قراءة الخط العربي • غـير اننا نجد ان الرأى السابق مبالغ فيه ، وليس ادل عـلى ذلك من ان اغلب المطبوعات العربية الآن خاليــة من الحركات وهي مـع ذلك تقرأ بيسر اما اسماء الاعلام فلا يؤمن الالتباس فيها بالنظر لانها تنطق بصورة خاصــة في كل اللغـات •

٢ ـ الحـــروف :

ان العيوب المتعلقة بالحرف العربي تنقسم الى قسمين :

(أ) ان للحرف الواحد صورا مختلفة ، فله صورة اذا كان مفردا ولـــه صورة اذا كان متصلا بغيره وثالثة اذا وقع في اول اللفظة ورابعة اذا وقع في وسطها او آخرها • وهذه الحالة تؤدي بالطبع الى ارهـــاق المتعلمين وتولد عندهم الارتباك ، كما انها تكلف المطابع كثيرا بالنظر لتعدد نماذج الحروف ، وترهق عامل المطبعة لـكثرة الحروف التي توقعه في الخطأ حتما •

---

(١) صفحة (٥) و (٧ ، ٨) من رسالة الكرملي •

(ب) ان هناك حروفا متحدة في الشكل العـــام ولكنها تمتاز عن بعضهـا بالاعجام او الاهمال او بعدد النقط مثل :[1]

ب ت ث ، ج ح خ ، ع غ ، س ش ، ص ض ... الخ .

وهنا يقتضي عـــلى الكاتب ان يصــرف بعض وقتـــه الى التنقيط ثم انه لا يؤمن الزلل ووضع النقاط في غير محلها فيؤدي الامر الى ان تقرأ الكلمة على وجوه متعددة . والواقع ان عيوب الحروف امر لا يقتصر على العربية وحدها . فحروف المد في الانكليزية . a, e, i, ou, ie, io, ei, ea, ee هذه الحروف كلها يختلف النطق بها بدون سبب معقول . ومثال آخر هو الحــرف (O) فانه يلفظ بصوتين في : Go, Do وكذلك الحرفان (ow) فـــي How, Bow والحرفـــان (Ch) فـــي Church, School والمخارج الصوتية للحرفين (0U) كما فـــي : Trouble, four, out, Thought, Through

وكذلك الحرف (Y) فـــي مثـل : Weekly, fly

والحرفـــان (Th) يلفظان حينا (ث) كما في : Thing, tooth, thief

وحينا (ذ) كما في : This, these

والالفاظ التالية تختلف كتابتها مع ان مخارج الفاظها واحدة :

Hair, here, Their, There

اما الحروف التي تكتب ولا تلفظ فهي كثيرة .. سواء في الانكليزية او الفرنسية والايطالية[2] ومع ذلك فلم يتنكر اولئك للغـــاتهم او يطالبوا بتغيير حروفها .

---

(١) رسالة في الكتابة العربية : الكرملي صفحة (٨) .

(٢) راجع مقال (مشكلة الكتابة) بقلم عيسى الناعوري ، نشر في (مجلة الاداب) العدد الثالث ــ السنة الثانية وراجع رد انيس المقدسي في الاستفتاء المنشور في مجلة (العلوم) العدد السابع مـــن السنة الاولى و (اللغة) لفندريس ترجمة الدواخلي والقصاص صفحة (٤٠٥) .

ان الاقتراحات التي قدمها الباحثون لاصلاح الخط العربي تنقسم قسمين رئيسين :

١ ـ اصلاحات في الخط العربي بحيث لا تمس جوهره[(١)] .

٢ ـ اصلاحات تهدف الى تغيير جوهري في الخط العربي [(٢)] .

وسنحاول فيما يأتي التطرق الى اهم تلك المحاولات .

القسم الاول

من أهم الاقتراحات التي قدمها الباحثون الذين ارادوا اصلاح الخط العربي دون مس جوهره هي :

١ ـ الحروف :

لقد ذكرنا في الصفحات السابقة الانتقادات الموجهة الى الحرف العربي واهمها ان للحرف الواحد صورا مختلفة حسب موقعه من الكلمة وان هناك حروفا متحدة في الشكل ولكنها تمايز عن بعضها بالاعجام او الاهمال او بعدد النقط .

---

(١) واصحاب هذا الرأى كثيرون وعلى راسهم احمد لطفي السيد .. ومنهم انستاس الكرملي : في رسالته
والدكتور علي عبدالواحد وافي في كتابه علم اللغة .
الجنيدى خليفة في كتابه نحو عربية افضل .
يونس عبدالرزاق السامرائي في كتابه تيسير الكتابة العربية .
عبدالجبار الوائلي
ابراهيم الانبارى ... الخ
والمستشرق ريجيس بلاشير في مقالة له بعنوان (اللغة الفصحة لغة اعتزاز) نشرت في مجلة الفكر التونسية العدد الثالث من السنة الخامسة .

(٢) واصحاب هذا الرأى هم الداعون الى الحرف اللاتيني وعلى رأسهم ، عبدالعزيز فهمي ، سلامة موسى ، وسعيد عقل ، والدكتور انيس فريحة .

وفي سبيل تدارك تلك العيوب اقترح بعضهم :[1] .

(أ) اطراح الاجزاء الموحدة التي تساهم في تكوين اكثر من حرف وعلى رأسها النقط .

(ب) تعديل الحروف المتشابهة صورها بسبب من تماثل بعض اجزائها ، وان عاد التشابه الى غير النقط ، ويصار الى التعديل باعطاء الحروف شخصية متميزة قوية المعالم والحدود . وفيما يخص النقط تبدل الحروف المعجمة باخرى مهمة يكون كيانها تاما مستقلا عن بعضها بعضا .

(ج) تنظيم الحروف على شكل هندسي واضح تراعى فيه حدود السطر والائتلاف .

(د) توحيد صورة الحرف الواحد (الذى يختلف شكله تبعا لموقعه من الكلمة) انى كان موقعها .

(هـ) ان تكون الحروف المنشورة اقرب ما تكون الى الحروف الحالية المقطعة واقرب ما تكون الى هيكلها المشترك وسمتها العامة بين جميع انواع الاقلام العربية من خط نسخ وثلث ورقعة وكوفي .. الخ .

واقترح الدكتور علي عبدالواحد وافي[2] ما يلي :

١ - ان ترسم حروف الكلمة مفرقة ، منفصلا بعضها عن بعض وبذلك تكون لكل حرف صورة واحدة لا تتغير .

٢ - ان تكتب الحروف المتشابهة الصور مثل الـ (ب ت ث ... الخ) بصور مختلفة يؤخذ بعضها من صورة الحرف منفردا وبعضها من صورته متصلا بغيره . او يؤخذ بعضها من صورته في خط الرقعة

---

(١) الجنيدى خليفة في كتابه (نحو عربية افضل) صفحة (٣٣) .
(٢) فقه اللغة صفحة (٢٦٢) وما بعدها .

وبعضها من صورته في خط النسخ او الثلث وبذلك يتميز الحرف عن غيره لا باعجامه او اهماله بل بشكله الخاص ٠

اما الاب انستاس الكرملي[١] فقد اقترح ادخال بعض الحروف الجديدة للتعبير عن بعض الاصوات التي تخلو منها الحروف العربية ومنها :

حرف الـ پ : التي تقابل حرف الـ P في الانكليزية ٠
حرف الـ چ : التي تقابل حرف الـ ch في الانكليزية ٠
حرف الـ ژ : التي تقابل حرف الـ J في الافرنسية كما في Jour
حرف الـ ڤ : التي تقابل حرف الـ V في الانكليزية ٠
حرف الـ گ : التي تقابل حرف الجيم المصرية او الـ g كما في girl

وللاستاذ منير القاضى كراس صغير ضمنه رأيه في الدعوة الى الحرف اللاتيني كما انه قدم اقتراحات بشأن كتابة الهمزة[٢] غير اننا لا يمكن باى حال ان نسمي ذلك الكراس دراسة علمية وذلك لافتقاره الى الاستقراء العام الشامل ٠

وارتأى البعض الغاء الاعراب والزام السكون اواخر الكلمات وقد رد أحمد لطفي السيد على الاقتراح بقوله :

« وهذا الرأى مطعون فيه من وجهتين : اما الاولى فانه لا يحل من المسألة الا بعضها دون البعض الاخر لان ضبط حركات الحروف ليس ضروريا في الاعراب فقط ، بل هو اشد ضرورة في بنية الكلمة وهذا الضبط من جوهر اللغة ، فاذا اهملنا الشكل ولم نأت بطريقة تقوم مقامه ظل الناس يلفظون الكلمات على غير وجهها الصحيح كما هم الان يفعلون ٠ اما الوجه الثاني فان في هذا الرأى اهدارا لصورة اللغة العربية وقضاء على اهم

---

(١) رسالة في الكتابة العربية المنقحة : صفحة (١٧) ٠
(٢) تسهيل الخط العربي : منير القاضى ٠

مميزاتها وذلك مما لا نظن احد يرضاه متى امكن تسهيل اللغة وشيوعها من غير الالتجاء الى العبث بسلامتها ومميزاتها »[١] .

٢ ـ الحركات :

ذكرنا اهمية الحركات في اللغة العربية ، وما تحتاجه من جهد وتمكن في اللغة وقواعدها لادراكها ، وهناك بعض الاراء بالنسبة للحركات ندرجها فيما يلي :

١ ـ ان تشكل جميع الكلمات بدون استثناء في المطبوع والمكتوب على حد سواء .

٢ ـ ان تشكل الكلمة التي يحتمل ان تثير اللبس عند القارىء ، اما الكلمات الاخرى المفهومة فلا داعي الى التزام الشكل معها .

٣ ـ ان يدخل الشكل في بنية الكلمة بدلا من وضعه فوق الحروف او تحتها وذلك باختراع حروف للرمز الى اصوات المد القصيرة (الفتحة الكسرة ، الضمة) وتدون في صلب الكلمة حسبما تقتضيه حركة الحرف[٢] . وعلى هذا الرأى ما اقترحه الاستاذ ابراهيم الانبارى[٣] الذى اقترح استبدال الحروف بالحركات كان تقول في كَتَبَ : كاتابا وفي كُتُبَ : كوتيبا وفي كتابٌ : كتابون . وقريب من هذا الرأى رأى الدكتور طه حسين الذى اقترح ان تكتب الكلمات كما تلفظ وقد ناقشه بعض المفكرين في اقتراحه[٤] ولقد سبق للدكتور مصطفى

---

(١) مجلة الشؤون الاجتماعية عدد فبراير سنة ١٩٤١ عن فقه اللغة للدكتور علي عبدالواحد وافي صفحة (٢٦٢) .

(٢) صاحب هذا الرأى احمد لطفي السيد وعنه اخذ الاخرون كالدكتور علي عبدالواحد وافي في فقه اللغة صفحة (٢٦٤) والاب انستاس في رسالته صفحة (١٨) .

(٣) مجلة (المجلة) العدد (٢٣) سنة ١٩٥٨

(٤) مجلة (العلوم) العدد السابع السنة الاولى .

جواد ان اقترح اقتراحا مشابها لما جاء به طه حسين[١] • اما الجنيدى خليفة[٢] فقد اقترح الاصطلاح على بعض الارقام للدلالة على الحركات وعلى ان توضع الارقام في صلب الكلمة ايضا •

فالرقم (١) معناه ان الحرف الذى قبله مرفوع •

والرقم (٢) معناه ان الحرف الذى قبله منصوب •

والرقم (٣) معناه ان الحرف الذى قبله مجرور •

والرقم (٤) معناه ان الحرف الذى قبله مشدود •

والرقم (٥) معناه ان الحرف الذى قبله ساكن •

فاذا اردنا كتابة اسم الفاعل (مكرم) نكتبها هكذا : مكر ٣٤م •

القسم الثاني

ان اصحاب هذا القسم هم الذين حاولوا تغيير الخط العربي تغييرا جذريا وذلك عن طريق ابدال الحروف العربية وتغيير صورها • ومن تلك المحاولات استبدال الحروف اللاتينية ومناهج الرسم اللاتيني (التي ترمز الى اصوات المد القصيرة بحروف تكتب في اصل الكلمة) بالحروف العربية ومناهج الرسم العربي • وعلى رأس الذين تبنوا هذا الرأى المرحوم عبدالعزيز فهمي باشا ، ومن الذين دافعوا عنه المرحوم سلامه موسى حيث قال : [٣] •

١ ـ ان اول الميزات في الخط اللاتيني اننا نقترب نحو التوحيد البشرى ، فان هذا الخط هو وسيلة القراءة والكتابة عند المتمدنين الذين يملكون القوة والعلم والمستقبل • وهذا الخط تأخذ بـه الامم التي ترغب في

---

(١) من مقالة له بعنوان (وسائل النهوض باللغة العربية وتيسير قواعدها وكتابتها) نشرت في مجلة العلوم العدد التاسع من السنة الاولى •

(٢) نحو عربية افضل صفحة (٤٨) •

(٣) البلاغة العصرية واللغة العربية : سلامة موسى صفحة (١٣٨)

التجدد كما فعلت تركيا ، ومن المرجح ان يعم هذا الخط العالم كله تقريبا .

٢ ـ حين نصطنع الخط اللاتيني يزول هذا الانفصال النفسي الذى احدثته هاتان الكلمتان المشؤومتان (شرق وغرب) فلا نتعير من ان نعيش المعيشة العصرية . ولابد ان يجر هذا الخط في اثره كثيرا من ضروب الاصلاح الاخرى ، مثل المساواة الاقتصادية بين الجنسين ومثل التفكير العلمي ومثل العقلية بل النفسية العلمية .... الخ .

٣ ـ يمتاز الاوربيون بقدرتهم على ايجاد المعاني الجديدة بالصاق مقاطع مشتقة من اللغتين الاغريقية واللاتينية فيخلقون المعنى الجديد من الكلمة القديمة ونحن ننتفع بهذه المقاطع اذا اخذنا بهذا الخط ولا يمكن ان نستعمل هذه المقاطع ما دام الخط بالحرف العربي .

٤ ـ والكلمات العلمية التي تقف عقبة شاقة في لغتنا تعود سهلة الاستعمال بالخط اللاتيني .

٥ ـ يجب ان لا ننسى ان الخط اللاتيني لا يكلفنا في تعلمه عشر الوقت الذى نقضيه في تعلم الخط العربي بل ربما اقل .

٦ ـ وعندما نكتب لغتنا بالخط اللاتيني نجد ان تعلم اللغات الاوربية قد سهل ايضا فتنفتح لنا آفاق هي الان مغلقة .

وبالجملة نستطيع القول ان اتخاذ الخط اللاتيني هو وثبة في النور نحو المستقبل . ان دفاع سلامه موسى عن الخط اللاتيني مصدره حبه الشديد لكل ما هو غربي . فهو مولع بالحضارة الغربية كاره للحضارة الشرقية ، ولا يرى بأسا في ان ننبذ حضارتنا كلها لنأخذ بالحضارة الغربية جميعها ، ومثل هذا الغلو يبعد عن الحق دائما . والرأى الداعى الى الحرف اللاتيني على كونه يقضي على بعض عيوب الخط العربي التي ذكرناها فانه

ينطوى على خطر كبير لان من شانه ان يحول عاجلا او آجلا بين الاجيال القادمة والانتفاع من التراث العربي المـــدون بالرسم العربي ، كمـــا ان الاقتراح نفسه لا يخلو من عيوب اخرى • فاذا اردنا ان نكتب الفعل (فهم) المكون من ثلاثة حروف ، بالرسم اللاتيني يكون على هذه الصورة Fahima اى ان عدد الحروف يتضاعف في الرسم اللاتيني في اغلب الاحوال • امـا اذا اردنا كتابة الفعل (سنستدرجهم) المكون من تسعـــة حروف فسيكون في اللاتينية سبعة عشر حرفا : sanstadrijou houm وهذا الحيز الذي يشغله الحرف اللاتيني يؤدى بلا شك الى زيادة في نفقات الطبـــع والورق والجهود •

ثم ان الكتابة بالحرف اللاتيني لا تقيم وزنا ولا تفريقا بين الصـــوت الذى هو حركة وبين الاشباع الذى هو حرف علة سواء كـــان اصلا ام مقلوبا •

فالكلمتان (رمى) و (رامَ) تكتبان على صورة واحدة هي Rama اى ان الحرف اللاتيني لا يأخذ مسألة الاشباع التي هي من المسائل المهمة في اللغة العربية بنظر الاعتبار[١] •

ويتولى الدعوة الى الحرف اللاتيني في لبنان الان كل من انيس فريحة وسعيد عقل ومن لف لفهما • وتأكيدا لهذه الدعوة اصدر سعيد عقل كتاب (يارى) بالحروف اللاتينية نجاء دليلا على نشل المحاولة لان الـــكتاب لا يقرأ ولا يفهم قبل ان يعرب[٢] •

واقترح آخرون[٣] ان تكون لكل حرف عربي اربع صور مختلفة ، تمثل حالات الفتح والضم والكسر والسكون • وهذه الطريقة تؤدى ايضا

---

(١) نحو عربية افضل : الجنيدى خليفة صفحة (٤٣ ، ٤٤)
(٢) من مقالة بعنوان (الادب العربي تجاه مشكلتي اللغة والحرف) للدكتور ابراهيم مدكور نشرتها مجلة الفكر التونسية العدد (٣) السنة (٧)
(٣) فقه اللغة : الدكتور علي عبدالواحد وافي صفحة (٢٦١)

الى قطع الصلة بالماضي كما انها تزيد من عدد صور حروف الهجاء وبذلك تبقى العيوب التي نشكو منها كما هي :

مما لا شك فيه ان الذين بحثوا مشكلة الخط العربي بالغوا كثيرا فيها • وكان عليهم ان يدركوا انه ما من لغة لا تشكو من مسألة الرسم وعلة ذلك واضحة كل الوضوح « فليس هناك رسم واحد يمثل اللغة المتكلمة كما هي ، ذلك لان اللغة المتكلمة من التعقيد بحيث تشتمل على اكداس من تفاصيل الشدة والتنغيم والنطق الفجائي ، مما لا يستطيع رسم تصويرها مهما بلغ من درجات الكمال »[1] هذا اضافة الى ان اللغة المكتوبة لا تساير في تطورها لغة الكلام ، لان الاخيرة تخضع لمؤثرات عديدة قلما تؤثر في اللغة المكتوبة •

ان بواعث كثيرة تدفع البعض الى محاولة تغيير الخط العربي ، منها ما يتصف بالاخلاص والحرص على اللغة العربية ، ومنها ما يقصد به الاضرار باللغة العربية ••• وقد نسي اولئك ان هناك امما كثيرة في لغاتها الكثير من المشاكل ولكنها ما جرأت يوما على الدعوة الى استبدالها • • فالخط الصيني على درجة كبيرة من التعقيد والخط الروسي يقل عنه شيئا قليلا ، وبالرغم من ذلك لم نسمع من اصحاب تلك اللغتين مثل ما نسمعه من اصحابنا حين يحيلون الشكوى من العربية الى نقمة عاتية تريد ان تدمر كل شيء • والاملاء الانكليزي ومثله الفرنسي لا يخلو من مشاكل ونواقص وتضارب في نطق الحروف المرسومة دون قاعدة ثابتة ومع ذلك لم يفكر اصحاب تلك اللغتين باستبدال حروفهم ••

---

(١) اللغة : فندريس صفحة (٤٠٧)

اللّهجة العامّيّة

لقد خاضت الثقافة العربية معركة العصور وخرجت منها ظافرة بفضل اللغة العربية الفصحى .

جاك بارك

اللهجة العامية

اللهجة في الاصطلاح العلمي الحديث هي مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي الى بيئة خاصة ويشترك في هذه الصفات جميع افراد هذه البيئة ، وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة اوسع واشمل تضم عدة لهجات لكل منها خصائصها ولكنها تشترك جميعا في مجموعة من الظواهر اللغوية(١) •

ولقد اوضحنا في الصفحات السابقة ان اللغة كأى ظاهرة اجتماعية ، تتغير ويصيبها التبدل بين حين وآخر ، نتيجة عوامل اجتماعية واخرى غير اجتماعية ، فتؤدى تلك العوامل الى ان تتوحد اللهجات المتفرعة فتصير واحدة ، او تنقسم اللغة على نفسها وتتفرع منها لهجات اخرى فيها مزايا اللغة الام الشيء الكثير ، وتختلف عنها في اشياء اخرى ، كاصوات بعض حروفها وفي دلالات بعض الفاظها ••• الخ وقد تهيأ لتلك اللهجات الناشئة بعض الظروف فيصلب عودها وتثبت جذورها وتدور على الالسن وتصير لغة كتابة وادب ، فتبرز آنذاك خصائصها وصفاتها المميزة لها عن غيرها • وقد تغلبها الظروف دون ان تقوى على مغالبتها فتضعف حتى تنحصر في بقعة ضيقة او تموت فلا أثر واضح لها ، وهناك حالات اخرى تعيش فيها اللهجة العامية بجانب الفصحى وتشاركها السيطرة على الالسن كما هو حال اللغة العربية اليوم • فعندنا الان لغة فصحى تتمثل فيما نكتب ونذيع على الناس من كتب واحاديث ، وعندنا لهجات عامية تتمثل في هذا الكلام الذي يدور على الالسن حين نخلو الى بعضنا في بيوتنا او نوادينا وفي معاملاتنا اليومية في السوق وفي الطريق • وليس الأمر مقصورا على العربية • فهناك لغات اخرى ، تعاني من هذه الثنائية التي يعدها البعض مظهرا من مظاهر الحياة والنمو(٢) ونراها أمرا شاذا يترك اثارا خطيرة في

(١) اللهجات العربية ـ الدكتور ابراهيم انيس صفحة (١١)
(٢) فلسفة اللغة : كمال الحاج صفحة (٢٣٢) وصفحة (٢٤٢)

المجتمع وتطوره ، اذ سيؤدى ذلك الى انعزال اللغة الفصحى واصحابها عن العامية واصحابها وبمعنى آخر ان الازدواجية في اللغة تؤدى الى احداث فجوة كبيرة بين افراد الشعب الواحد ، وخلق عدة طبقات تمتاز عن بعضها باختلاف طرق تفكيرها وعاداتها وذلك يعنى تمزيق وحدة الشعب ومن ثم انحلال المجتمع •

وموقف الناس من اللهجات العامية المتفرعة من العربية ذو اوجه متباينة فمنهم(١)من يرى ان لا نزدرى اللهجة العامية بل يجب ان نعتمد عليها لتطوير الفصحى وجعلها ملائمة للحياة ، لان في العامية مزايا ليس مثلها في الفصحى كخلوها من الاعراب ومرونتها في ادخال الكلمات الاجنبية الى حظيرتها • وآخرون(٢)يرون في اللهجة العامية مظهرا للانحطاط ودلالة خطر يهدد الفصحى ، لذا نهم يهاجمونها بعنف وشدة ويدعون الى القضاء عليها ومحاربتها في كل الميادين ، وفئة ثالثة(٣)تدعو الى احلال العامية محل الفصحى لانها وجدت في الاخيرة نواقص وعيوباً كثيرة لا يسدها الاصلاح ولا يخفف منها التيسير ، بل اتخاذ العامية (لغة) والداعون الى هذا الامر لهم حججهم التي يستندون اليها تتلخص في :

١ ـ ان في اللغة العربية الفصحى عيوبا كثيرة ، تتمثل في كثرة مفرداتها ومترادفاتها بحيث ان تلك الكثرة اصبحت مصدرا للغموض والابهام بينما تكون اللغات للافصاح والايضاح •

---

(١) المصدر السابق واللغة العربية في ماضيها وحاضرها ومستقبلها : جورج كفورى وميخائيل نعيمة في مجلة الاديب الجزء الثامن من السنة (١٩)

(٢) الادباء والمفكرون كلهم على هذا الرأى مثل : طه حسين ، العقاد مصطفى جواد ، الشبيبي ••• الخ

(٣) ينادى بهذه الفكرة بعض الادباء في لبنان مثل : الاسقف ميشال الفغالي ، الدكتور انيس فريحة ، سعيد عقل ، الخورى مارون غصن ، الدكتور جبور عبدالنور •

٢ ـ ان من خصائص العربية الفصحى الاعراب الذى خلت منه اللغات الحديثة الحية • في حين ان العامية بعيدة عن الاعراب وتعقيداته •

٣ ـ ان العربية الفصحى تعجز عن مجاراة التطور العلمي والفني ، وليس أدل على ذلك من قصورها عن ايجاد الفاظ تقابل المصطلحات العلمية والفنية التي اوجدها ذلك التطور •

٤ ـ ان العربية الفصحى صعبة التعلم وعسيرة التعليم لجمود قواعدها وتعقدها ولصعوبة رسم حروفها •

٥ ـ ان اللهجة العامية هي (لغة) الشعب كله ، تسيل على الالسن بلا عسر ولا تصنع وتعبر خير تعبير عن المشاعر والافكار •

ويحاول اولئك الدعاة اثبات دعواهم في ان العامية لابد لها ان تسيطر فيقولون ان حال اللغة العربية كحال اللغة اللاتينية حين انقرضت ونمت اللهجات المتفرعة منها حتى صارت لغات حية تعبر عن الاداب والعلوم وسائر الفنون الاخرى[1] • وقد رد الاستاذ ساطع الحصرى على تلك المقارنة بردود قوية تنفي وجود اى شبه بين العربية واللاتينية ، وتتلخص اراؤه في ان اللاتينية انما تقلصت وانفسح المجال امام لهجاتها لاسباب سياسية منها انكماش الدولة الرومانية وتقلص نفوذها السياسي ، ولان الدين المسيحي كان عاملا مساعدا على انتشار اللهجات العامية ، لان التبشير لذلك الدين بدأ بين العوام ، فمن الطبيعي ان تكون الدعوة له باللهجة العامية حتى انالمجمع الديني المنعقد في مدينة (تور) سنة (٨١٤) اتخذ قرارا صريحا يقضي بان يكون تفهيم كلام الله للناس باللغات التي درجوا عليها ، هذا في الوقت الذى فرضت فيه الكنيسة على رجالها فقط قراءة كتبهم المقدسة باللاتينية الفصحى • وبعد ان نشأت اللهجات وقويت ظهرت حركة معاكسة ومقاومة

---

(١) راجع مقالة بعنوان (العربية الفصحى في حرج) للدكتور عبد العزيز الاهواني مجلة الاداب العدد الرابع السنة الرابعة •

لكل ميل الى الانقسام في (اللغة) الجديدة ، ويبدو ذلك جليا في اللغة الفرنسية التي اخذت تطارد اللهجات الاخرى حتى قضت عليها ، بل ان حكومة الثورة في فرنسا ساهمت في مجالات عديدة للقضاء على اللهجات العامية معتبرة اياها من ترسبات العهد الماضي[1] .

وواقع الحال الذى نلاحظه هو ان عوامل كثيرة منها اجتماعية واخرى سياسية واقتصادية وثقافية يمر بها الوطن العربي ، تجعل اللغة العربية تتطور ولكن ليس نحو التفرع وافساح المجال لتعدد اللهجات . بل انها تتطور نحو التوحد بعد القضاء على اللهجات العامية مما يدل على ان القول بان العربية الفصحى تسير في الخط التاريخى الذى سارت فيه اللاتينية قول بعيد عن الواقع ولا تقره الحقائق ، وان الدعوة الى الركون الى اللهجات العامية امر لا يساير حركة تطور اللغة العربية مطلقا .

وما نريد الاطالة في هذا البحث بل سنحاول الايجاز في بيان قيمة العامية ومدى صلاحها لان تكون (لغة) او (وسيلة) للفهم والافهام . ان القاء نظرة سريعة على اللهجات تجعلنا نخرج بنقاط مهمة هي :

١ ـ ان اللهجات العامية تشوه ولا تخلق . فهي تأخذ الفاظها من الفصحى او من لغات اجنبية اخرى فتشوهها بابدال حروفها او تغيير بعض اصواتها . واللهجة العامية في العراق خير دليل على ذلك ففيها الفاظ تركية وهندية وفارسية وانكليزية . ولكن ذلك كله موجود بصورة بعيدة عن الاصل ومحرفة يجعل من العسير الاهتداء الى اصول الالفاظ .

---

(١) من مقالة له عنوان (حول الفصحى والعامية) نشرت في مجلة العلوم العدد السادس من السنة الثانية وعلى هذا الرأى الدكتور منصور فهمي في مقال له بعنوان (اللغة العربية ومجمع القاهرة) نشرت في مجلة العلوم العدد التاسع ـ السنة الاولى .

٢ ـ اللهجات العامية لا تصلح للكتابة • اذ مما لاشك فيه ان صعوبات جمة تقوم في وجه من يريد الكتابة بالعامية • وتتضخم الصعوبات امام من يريد تعلمها ، اذ ليس من قاعدة رئيسية هناك تتبع عند الكتابة • بل هو اللفظ وحده الذي يحدد صورة الحرف فاذا علمنا ان هناك لهجات متعددة نستطيع القول بان صورة الحروف سوف تتعدد ايضا كلما اختلف الناس في طريقة نطقهم للالفاظ ، من مد للاصوات الى تضخيم لها او تخفيف او امالة ••• الخ •

٣ ـ اللهجات العامية تتميز بكثرة الالفاظ الاجنبية الدخيلة عليها • اذ تجد فيها خليطا عجيبا من الالفاظ[١] وفي اللهجة العراقية[٢] مثلا نجد ان اغلب الفاظها من اصل غير عربي • وهذا الامر وان كان لا يدل على شيء عند اولئك المغرمين باللهجات العامية ، الا اننا نرى فيه دليل خمول ينتاب الامة وضمورا في تقدمها ورقيها • اذ لو كانت الامة سالكة دروب التطور لابدعت من الالفاظ ما يعبر عن كل ما يجد في افق الحضارة دون ان تتوكأ على غيرها من اللغات •

٤ ـ ان اللهجة العامية لا تستطيع التعبير الا عن المعاني الساذجة العامية المتعارفة[٣] وهي ان اردت التعبير عن المعاني السامية اعتمدت على اللغة الفصحى •

٥ ـ اللغات تعتمد على قواعد في اساليب الكلام والكتابة • هذه القواعد هي وسيلة لصيانة اللغة من التبدل والانحراف المخل ووسيلة للتعليم • اما اللهجات العامية فهي خالية من القواعد • والاعتماد عليها واعتبارها

---

(١) اللغة : فندريس صفحة (٣١٨) •

(٢) اصول الفاظ اللهجة العراقية : محمد رضا الشبيبي •

(٣) من مقالة بعنوان (اللغة العربية بين الفصحى والعامية) للاستاذ عارف النكدي عضو المجمع العربي في دمشق مجلة العلوم العدد العاشر من السنة الاولى •

وسيلة للتفاهم يعني ان هذه اللهجة التي تتكلمها هي عرضة للتبدل بتأثير عوامل مختلفة ، وانها ستبقى في تبدل مستمر وبذلك ستضيع الكثير من تراث البشرية ، وضياع ذلك التراث يعني توقف الحضارة التي هي عبارة عن حلقات متصلة ببعضها •

٦ ـ في الوطن العربي لهجات عامية كثيرة ، ففي العراق لهجة لا يتكلمها أهل الحجاز او لبنان مثلا ، وفي المغرب لهجة لا يتكلمها العرب في الكويت والاردن او سوريا فاى لهجة ندعو اليها ؟ أنتخذ اللهجة العراقية (لغة) لنا دون اللهجات الاخرى ؟ ومن لنا باقناع الفرد في لبنان بالتنازل عن لهجته والتكلم بلهجة اهل العراق او ارغام الفرد في الحجاز على الكلام بلهجة اهل سوريا هذا اذا كان الامر ينحصر في الاقناع والترضية •

ثم ان اللهجات العامية متعددة حتى في القطر الواحد • ففي العراق مثلا تختلف لهجة اهل الموصل عن لهجة اهل البصرة ، فكيف لنا ان نوفق بين تلك المتنافرات ؟ قد يظن البعض ان عرض مشاكل اللهجة العامية بهذه الصورة امر مبالغ فيه ، ولكن يكفي ان نورد هنا بعض الامثلة لتبيان ان ما ذكرناه لم يكن مبالغة ولا غلوا •

كتب سعيد عقل[1] مقدمة احدى الدواوين الشعرية باللهجة اللبنانية فقـال :

(نشوء كل معرفي فيـك بترافقو لزى ، بس اللزى البترافق المعرفي البيعملها الجمال بتفرق عن غيرها بانو فيها شيء من التخدير ، من الحلم من الهز ، كانوا الكون الانت فيه مرجوحا •

ون تغمقنا اكثر منشوف روح الجمال حركي صوب التوحد ، اجزاء عمتنلم بكل ، طيشرا عمتصير نظام ، وهالنظام مثل كانوا بساطا مـع انو

(١) من مقدمته لديوان (جلنار) لميشال طراد

مركب من الف تنويعا وتداخل ، شعور غريب بانو التعقيد زانو عميرحرح • الجمال بينعمل مش لشي الا لحالو • لا بارغام ولا لغايي • تمام متل اللعب البيلعب ما حد جابروا ، ولنو عميضارب ع منفعا ، وبيكد وهو ملتز • مثل كانوا مأمور من قوى ناعمي غامضا خفي من برات هـ الكون) •

وهذا نموذج اخر يمثل اللهجة العامية في العراق[١] •

(كوثر : شلون گدرت تشوفيه ؟

الام : ما راح الولد المحامي رحت گعدت گبال المركز ، وره نص ساعـــة شفت الخبصة خفت من يم البـــاب ، وره شويه حركوا الخشبة المحطوطة گبال الموقف اللي همه بيه •• واشوفلچيـــاه السعـدى واگف بالباب وچان اوگف عـــلى حيلي واصيح بعلو حسي •• عيني سعـدى •• سعدى باوعني وشال ايده وگام يضحك ويؤشر لي وبقيت واگفه اباوع وما جيت الى وكت ما رجعوا الخشبه گدام باب الموقف •

كوثر : وما عرفتي المحامي الحجه وياچ منو ؟

الام : والله ما ادرى : الوجه مو غريب علي ••)

ومن الشعر الشعبي في السودان[٢] قول احداهن :

ياحسين انا امـــك وانت ماك ولـــدى
بطنـــك كرشت •• عن البنات ناسي

وذقنك حمست •• جلدك قرشت ما في
متين ياحسين •• اشوف لوحك معلق

لا حسين قتـــل • • ولا حسين مغلق

---

(١) مقتبس من مسرحيات يوسف العاني

(٢) مقالة بعنوان (حول الادب الشعبي في السودان) نشـرت في مجلة (الغد) العدد الاول سنة ١٩٥٩ •

او قول احداهن :

طبـــل العز هوينه في البرزه

غير طبل (امكبان) انا ما يشوف عزه

ان طال الوبر واسيه بالجـــزه

اما عم نيل ما فرخت وزه •

ومن الشعر الشعبي في الجزائر(١) قول احدهم :

دار لك سيدى كلخمـــة والقبـــايل شهود

قطعـــوك في البيضـــاء كالجرذان يابوران

منين كـان عويـــدك لتـاخ   كنت هارب واغلقت البـاب

كنت تشـرب مـن ما اسباخ   جوزوك على الخضراء غاب

بالحـديد مبـــخ مبســـاخ   شوف ما دارولك لصحـاب

الشـحم فوق الوطيـة ساخ   الطـواير شبعت واديـــاب

النســـر اكـــل وداك داخ   والحداية   هـــي   واغراب

الضبع في جلـدك اسـلاخ   بالعـدل يخزن في الشـعاب

مزيـــان القفـــدة للتملاخ   كالقفا يعجب للســـرفاب

وما لنا نأتي بالامثلة وهي كثيرة لا تحصى ، فقبل سنوات نشر يوسف العاني بعض مسرحياته بعنوان (رأس الشليلة) وارسـل نسـخة منهـا الى احسان عبد القدوس صاحب مجلة (روز اليوسف) فاذا بالاخير يكتب في مجلتـه يقول : انـه قرأ المسـرحيات مـرات ومـرات وهـو لا يـدري أكان يقرأ كلاما عربيا ام اعجميا • وكتب بدر الدين الحاضري يقول انه

---

(٢) مقالة (الادب الشعبي والمقاومة الجزائرية) بقلم عثمان سعدى نشرت في مجلة الاداب العدد الثامن السنة الخامسة •

قرأ قصة (الكسيح) لشاكر خصباك فلم يفهم ما جاء فيها من عبارات باللهجة العامية[1] وذكر الدكتور علي عبدالواحد وافي[2] بانه قضى في العراق عدة اشهر وطاف باكثر مدنه وانه ما كان ليستطيع التفاهم بسهولة الا مع المتعلمين الذين كان يستخدم الفصحى معهم ٠

٧ ـ يقولون ان العربية الفصحى قاصرة عن التعبير عن المصطلحات العلمية والفنية الحديثة ٠ وقد سبق ان ذكرنا ان نمو اللغة وحياتها متوقفان على نمو اهلها وحياتهم ، ولابد لنا ان نذكر في هذا المضمار ان كلية الطب في سوريا تستعمل اللغة العربية الفصحى في تدريس العلوم الطبية منذ سنين طويلة فلم تعجز العربية فيها عن ايجاد ما يقابل المصطلحات العلمية الحديثة ٠ وان الجيش العراقي وضع مصطلحات عربية لكل الالفاظ الاجنبية التي تطلق على مسميات ومخترعات فنية حديثة ، وهي سائدة الاستعمال ٠ ولقد اتفق اغلب الباحثين[3] على ان اللغة العربية التي وسعت الفلسفة والرياضيات والفلك والطبيعيات لا تعجز عن ان تسع حضارة القرن العشرين وفنونه لمرونتها ومجال

---

(١) مجلة الاداب ـ العدد الثالث ، السنة الاولى ٠

(٢) فقه اللغة ، حاشية (٢) صفحة ١٤٥ ٠

(٣) راجع مجلة العلوم ، العدد الثالث ، السنة الاولى حيث اتفق على هذا الرأى كل من : الدكتور زكي النقاش مدير كلية المقاصد الاسلامية ، سامي الدروبي استاذ علم النفس التجريبي في الجامعة السورية ، الدكتور عمر فروخ عضو المجمع العلمي العربي في دمشق ، محمد عبدالله شبقلو استاذ الكيمياء في كلية المقاصد ، بيروت ، واصف البارودى مدير دار الكتب الوطنية والدكتور كمال يوسف الحاج رئيس المصلحة الثقافية في وزارة التربية الوطنية ٠

وعلى رأيهم ايضا الدكتور منصور فهمي في مقالته (اللغة العربية ومجمع القاهرة) المنشورة في مجلة العلوم العدد (٩) السنة الاولى والدكتور جميل صليبا في مقالته (الاصطلاحات الفلسفية) المنشورة في نفس العدد من المجلة وكذلك عبدالله العلايلي في مجلة الاداب العدد (١١) السنة الاولى ٠

النحت فيها وقبولها الاقتباس .. الخ وان على الحكومات ان تساند المجامع اللغوية والعلمية لنشر تلك المصطلحات بما تملك من وسائل النشـــر .

ومع ذلك نريد ان نتساءل : هل تستطيع اللهجات العامية التعبير عن المصطلحات العلمية والفنية ؟ وما هي سبلها الى ذلك التعبير ؟ ان امامنا لهجاتنا العامية وهي تنبىء بوضوح بانها ما استطاعت ان تخـلق مصطلحا علميا او فنيا واحدا . وانما هي في شكلها العام تتوكأ على الالفاظ الاعجمية وتخلط بينها وبين العربية الفصحى وتشوهها بالحذف والزيادة فكيف ناخذ بها وهذه حالها ؟

٨ ـ ليس في اللهجات العامية اي يسر ، فهي وان كانت تجري على الالسنة التي الفتها بسهولة ، الا انها صعبة لمن اراد تعلمها او تعليمها ، اذ ليس يدري سري الاختلاف في نطق بعض حروفها او قلبها او زيادتهـــا او حذفها لعدم وجود قاعدة ثابتة تتبع في ذلك . كما ان رسم حروفها من أشد الامور تعقيدا ، ليس على الراغبين في تعلمها فقط بل عنـــد اصحابها ايضا .

٩ ـ اللهجة العامية وليدة الجهل ، فنحن لو تدبرنا ميزات تلك اللهجـــة واسباب ظهورها لما وجدنا ما يشير الى انها حصيلة التمدن والحضارة، بل انها مصاحبة للتاخر والانحطاط وليس في التاريخ ، اي تاريخ ، ما يدل على ان لهجة ما قد ولدت بفعل تقدم حضاري .

١٠ـ ان اختلاف اللهجات العامية في الوطن العربي ، سيؤدي الى وجـــود مترادفات كثيرة اذا ما اخذ بها . فكلمة « جيد » الفصحى تقابلهـــا كلمة (زين) و (خوش) في اللهجة العامية في العراق و (كويس) في لهجة مصر العامية و (مليح) في اللهجة اللبنانية .. وقس عـلى هذا المثال آلاف اخرى ستؤدي الى ركام هائل من الالفاظ المترادفة .

١١- ظهرت اللهجات العامية العربية منذ زمن بعيد ، وقد لا نكون مبالغين ان قلنا ان ذلك يعود الى القرن الرابع الهجري ، اما في القرن السادس الهجري وما بعده فان اللهجات العامية طغت واستفحل امرها وفي هذه الفترة كان النتاج الادبي يستعمل العامية ، فكانت هناك قصص ومسرحيات شعرية ٠٠٠٠ الخ ٠

ومما يذكر في هذا الباب هو ان هناك مخطوطات لمسرحيات شعبية باللهجة المصرية ينصرف الظن الى انها نسخت سنة (١٧٠٠)م غير انها تعود الى القرن السادس عشر الميلادي ٠ وكانت في مصر فرق لتمثيل روايات خيال الظل واشتهر افرادها الى حد انها تدعى الى تركيا للتمثيل امام السلطان كالذي حدث سنة ١٦١٢ حين رحل داود المناوي مع فرقته لعرض خيال الظل امام السلطان احمد الاول[١] ٠ ولنا ان نسأل اولئك الذين يدعون الى العامية اين هو ذلك النتاج ولم لم يكتب له الخلود ؟ وما هي قيمته الادبية المحلية او العالمية ؟ هذا ان كان اللهجة العامية تطورا طبيعيا للغة حقا ؟ ٠٠

وفي كل قطر عربي يوجد نتاج شعبي باللهجة العامية سواء كان شعرا او نثرا ، ولكن هذا النتاج وان احتوى على صور وتعابير لطيفة في بعض الاحيان ، فانه بعيد كل البعد عن البقاء والخلود وسبب ذلك هو ان اللهجة العامية لا تحمل بذور الحياة ٠

١٢- يقول البعض ليس ادل على يسر العامية من انها تنتقل من السلف الى الخلف عن طريق التقليد وليس عن طريق التعلم كما هو الحال مع اللغة الفصحى التي نتعلمها تعلماً في مراحل الدراسة كما نتعلم لغة اجنبية[٢] ٠

---

(١) محاضرات عن مستقبل اللغة العربية المشتركة : الدكتور ابراهيم انيس صفحة ٣٢-٤١ ٠

(٢) فقه اللغة - الدكتور علي عبدالواحد وافي صفحة (١٤٨) ٠

ان هذا الرأى مقبول ظاهريا غير اننا لو تعمقنا في اسباب تلك الظاهرة لوجدنا ان العامية انما تنتقل عن طريق التقليد لا التعلم بسبب استعمال الابوين وغيرهم لها • ولو انهما استعملا الفصحى لانتقلت بدورها الى الاجيال عن طريق التقليد وباليسر نفسه • مما تقدم نرى ان العامية فقيرة كل الفقر في مفرداتها ، ولا يشتمل متنها على اكثر من الكلمات الضرورية للحديث العادي ، وهي الى ذلك مضطربة كل الاضطراب في قواعدها واساليبها ومعاني الفاظها وتحديد وظائف الكلمات في جملها ، وربط الالفاظ والجمل ببعض ، واداة هذه شأنها لا تقوى مطلقا على التعبير عن المعاني ولا عن حقائق العلوم والآداب والانتاج الفكري المنظم[١] •

١٣ـ اللهجة العامية لا تخلو من الاعراب • فهي وان كان تميل الى تسكين اواخر الكلمات في اغلب الاحوال ، الا انها تعتمد على الحركات الاعرابية ، خاصة الحركات التي تفيد تغيرا في المعنى • ولقد سبق ان ذكرنا في فصل سابق وجود الاعراب بالحروف في العامية في قولهم : ابوك ، اخوك ، يذهبون ، تذهبين •••• الخ •

ومن مظاهر وجود الاعراب بالحركات في العامية وضرورته الامثلة التالية :

خذ من اللهجة العراقية كلمة (يمه) فان المعنى سيختلط عليك بدون الحركات • فان قلت (يَمْه) كانت بمعنى : (بقربه) وان ضمت الياء كانت بمعنى : (يا اماه) • وخذ ايضا كلمة (روح ، يروح) ففي العامية تعني : اذهب ، يذهب ، ولكنك اذ ضعفت الواو حصلت على معنى جديد هو : استرح : ومثلها كلمة (سلها) فهي

(١) فقه اللغة ـ الدكتور علي عبدالواحد وافي صفحة (١٥٠) •

بمعنى أسألها اذا كانت السين مفتوحة ، اما اذا كسرتها فتعني اصابتها بمرض السل •

والامثلة كثيرة لا تعد ولا تحصى في هذا الباب •

اننا نعتقد ان شيوع اللهجات العامية بجانب اللغات الفصحى أمر لا يمثل الطبيعة اللغوية عند الانسان كما يحلو للبعض ان يقول ، وانها ليست تطورا طبيعيا ، انما هي مرحلة انحطاطية ، غير ان الدكتور انيس فريحة يحاول اثبات عكس ذلك فيقول :

« ولقد اثبتت دراسة اللهجات وبطريقة لا يتسرب اليها الشك ان اللهجة قد لا تكون تقهقرا ولا انحطاطا لغويا بل تطورا لغويا فرضته النواميس الطبيعية التي تتحكم بمصير كل لغة ، وافضل دليل على ان اللهجات ليست انحطاطا لغويا في كل الاحوال هو كون بعضها سابقا في الزمن للغة الفصحى ، خذ مثلا كسر حرف المضارع في العامية فاننا نقول « يِكْتُب ، يِشْرب » ولكن كسر حرف المضارع وهو لغة قديمة سابق في الزمن للفترة التي اعتبرت فيها لغة قريش اللغة الادبية الفصحى فكيف يحق لنا ان نعتبر هذه الظاهرة ـ كسر حرف المضارع ـ انحطاطا لغويا ؟ »[1] •

ان الرد على رأى الدكتور انيس فريحة من اليسر بمكان ، فالشاهد الواحد لا يصح ان يعتمد عليه في تعميم القواعد • ثم ان قوله « •• على ان اللهجات ليست انحطاطا لغويا **في كل الاحوال** » لدليل على عدم شمول قوله كما انه يعترف بان كسر حرف المضارع كان موجودا في اللهجات العربية في زمن سابق للغة الفصحى ، اي قبل ان تتطور تلك المهجات وتتوحد في العربية الفصحى ، وعلى ذلك فوجود حالة كسر حرف المضارع

(١) محاضرات في اللهجات واسلوب دراستها : الصفحة ٤١

في العامية يعني رجوع الى ما قبل مرحلة التطور .. فهل نسمي ذلك تقهقرا وانحطاطا ام تطورا وتقدما ؟ ..

ثم اذا كانت الامور تقاس بقدمها الزمني فذلك على نقيض التطور كما ان هناك اشياء قديمة جدا في اللغات فهل اذا رجعنا اليها واخذنا بها صار ذلك تطورا مع النواميس الطبيعية في رأى الدكتور فريحة ؟ .

نعود فنقول ان شيوع اللهجة العامية بجانب الفصحى امر غير طبيعي ووجود الشيء لا يعني ابدا كونه أمرا طبيعيا ، بل اننا نعتقد ان الازدواجية في اللغة دليل على حالة مرضية تعترى المجتمع ولذا فلابد من العمل على ازالة ذلك الازدواج والعودة باللغة الى حالتها الطبيعية وذلك بالقضاء على اللهجات العامية . وهنا يبرز سؤال ضخم هو كيف نقضي على العامية ؟ ان الاجابة على هذا السؤال تستلزم اولا معرفة اسباب انتشار اللهجة العامية وذيوعها بين الناس كي تكون الحلول المقدمة جذرية .

ان اسباب وجود اللهجات العامية كثيرة ومتباينة الاوجه ، وان كان لبعضها من العموم ما يساعد على تطبيقها في كل مكان وزمان ، فان البعض منها يكاد يكون خاصا لا يصح تطبيقه الا في مكان وزمان معينين . ومع ذلك فسنحاول ان نلم بتلك الاسباب ولا ندعي انها احتوت المشكلة كلها او استقصت جميع جذورها .

١ ـ مما يسبب تفرع العامية من اللغة الفصحى اتساع رقعة الارض التي يعيش عليها قوم يتكلمون لغة واحدة مع نقص في سبل المواصلات والاتصال ، اذ يؤدي التباعد بينهم على مر السنين الى اختلاف اصوات بعض الالفاظ او الى نشوء لفظة جديدة واماتة اخرى في منطقة دون غيرها . وتسع امثال هذه الاختلافات حتى تصبح ميزة واضحة للسان اهل منطقة معينة تميزهم عن المنطقة الاخرى . ونستطيع ان نعزو الاختلاف في قراءات القرآن الكريم بعد الفتوحات الاسلامية الى اتساع

رقعة الدولة الاسلامية آنذاك بالاضافة الى الجذور القديمة الموجودة في لغة القبائل العربية ، وكذلك ما اصاب العربية من تطور سواء كان في استحداث الفاظ جديدة او في تعريب واشتقاق الفاظ اخرى • ولكن اتساع رقعة البلاد لم يعد له تأثير ملموس في اللغة نتيجة انتشار (الراديو) و (السينما) و (التلفزيون) والصحف السيارة والمطبوعات الاخرى • فان مثل تلك الوسائل اصبحت عاملا مهما في تطور اللغة نحو التوحد وليس نحو التفرع ، اي ان تلك الوسائل اصبحت عاملا في القضاء على اللهجات • لانها دائما تكون بلغة اقرب الى الفصحى منها الى العامية • ولان الناس اضحوا يأخذون بها بعد ان وجدوها قادرة على التعبير عن افكارهم في كل مكان • وبهذه المناسبة نذكر ان محطات الاذاعة في بعض البلدان العربية تقدم بعض موادها باللهجة العامية • واننا لنرى في ذلك ظلما للغة العربية وعدوانا عليها • فان كانت الاذاعة تهدف الى تثقيف طبقة من الناس فما نرى انها سلكت الطريق الصائب ، اذ بمقدورها اذاعة مناهجها الموجهة لتلك الطبقة بلغة عربية بسيطة لا تقعر فيها • ولا حاجة بها الى الركون الى العامية•

٢ ـ ان الصحف والمطبوعات كثيرا ما تكون سببا في انتشار العامية اذ يتولى شؤونها افراد ذوو ثقافة قليلة والمام ضئيل باللغة ، فيكتبون بلغة بعيدة عن الفصحى ويكررون ذلك وعنهم يأخذ الناس حتى يشيع الاستعمال العامي بينهم بدلا من الفصيح • وقد لا نكون متجنين ان قلنا ان قسما ليس بالقليل ممن يمارسون مهنة الصحافة في العراق لا يملكون الثقافة التي تؤهلهم للكتابة بلغة جيدة ، بله التوجيه الفكري والاجتماعي • ولما كان صاحب الصحيفة يسعى الى ان يقرأ كل فرد صحيفته لان ذلك يعني الكسب الوافر بالنسبة له ، فانه يلجأ الى الكتابة باساليب عامية دون ان يهمه الاضرار باللغة •

٣ ـ ان تفشي الجهل بين غالبية افراد الشعب يؤدي الى شيوع اللهجات العامية وانعزال الفصحى في الكتب لعزوف الناس عنها كما ان الحالة الاقتصادية تساهم في هذا الحقل حيث لا يتاح لاغلب افراد الشعب تداول الكتب والصحف والمجلات وتتبع التطورات الثقافية • ولكن هذه الحالة بدأت تضمر في البلاد العربية بفضل انتشار وسائل التثقيف المختلفة وجهود الحكومات المبذولة لجعل التعليم ميسورا لطبقات الشعب كافة ، كما ان بعض دور النشر الحكومية والاهلية اخذت في الآونة الاخير تنشر على الناس طبعات شعبية زهيدة الثمن للمؤلفات الجيدة •

٤ ـ قد يساهم بعض الادباء والمفكرين في نشر العامية باستعمالهم اياها فيما يكتبون وينشرون على الناس ، وقد أخذ بعض الادباء العرب[١] يميلون الى الاخذ بالعامية في شعرهم او نثرهم على درجات متفاوتة من الاتساع • ولا حاجة بنا الى القول بان مثل هذا النتاج لا يكسب الخلود مطلقا ، لانه في اتجاهه العامية ، انما يبني حوله اسورا عالية لا يمكن ان يتعداها • وبمعنى آخر انه يكون ادبا محليا لاغير •

٥ ـ هناك اسباب سياسية تؤدي الى شيوع اللهجات العامية ، تتمثل في وجهة سياسة الطبقة الحاكمة وارادتها • او في تقلص نفوذ الدولة السياسي او اتساعه • وقد رأينا كيف ان اللغة اللاتينية ضمرت بضمور الدولة الرومانية وتشعبت منها لهجات كثيرة • وفي العراق مثلا وطيلة سنين خلت ، جاهد المستعمرون لاضعاف اللغة العربية الفصحى، لانها اساس متين تقوم عليه القومية العربية ، ولانها مدعاة لوحدة الشعب في افكاره ومشاعره ومظهر من مظاهر حياته الوثابة التي

---

(١) كما هو حال توفيق الحكيم في « عودة الروح » وسعيد عقل ويوسف ادريس في اغلب مجموعاته القصصية وعبدالرحمن الشرقاوي والدكتور شاكر مصطفى سليم وعبدالملك نوري وغيرهم •

تأبى الاستعباد • وسعوا ما قدروا لاماتة الاعتزاز بتلك اللغة وتنفير الناس عنها ، فكتب لهم بعض النجاح في ما ارادوا اذ وجدوا بعض من ماتت ضمائرهم وضعفت نفوسهم ، يهاجمون اللغة العربية ناعتين اياها بكل النعوت وابشعها وكان آخرها دعواهم انها لغة ميتة • اما اللهجات العامية فهي (لغة) الحياة وهي (لغة) النشوء والارتقاء ، فدأبوا على بعث الروح في اللهجات العامية بترديدها في كتاباتهم واحاديثهم ثم لجأت السياسة الانكليزية الى افساد اللغة العربية في طرق تعليمها فكان أن اختارت لتدريسها في اوائل تشكيل حكومة فيصل الاول ، رجالا درسوا اللغة العربية فما فهموا منها سوى التحذلق والتقعر وما استعذبوا منها غير ذلك الجمود الذي فرضته القواعد النحوية الشاذة • وبعدها وضعت مناهج التعليم بشكل يفضي الى الابهام لا الايضاح ، لانها هدفت التعقيد والارباك ، فضج الطلبة من هذه اللغة التي ترهقهم وانصرفوا عنها برمين بها واقبلوا على اللهجات العامية ، هذه التي تسيل على السنتهم بلا مشقة ولا عسر ولا دراسة لقواعد جافة كما يقولون • وبدأوا يرطنون بعبارات اجنبية ، لان ذلك كما ظنوا دليل الحضارة والتقدم • ان ادراكنا العميق للمشكلة القائمة حول العربية ومحاولة المستعمرين ايقاعنا فيها لجدير بان يجعلنا نضاعف الجهود في سبيل صيانتها من تلك العوادي ونزع اللبوس الجامدة عنها وتطويرها بما يلائم حياتنا العصرية للحفاظ على قوميتنا وأمتنا •

وقد يكون تأثير السياسة على نحو آخر كالذي نلاحظه خلال الفترة المظلمة فان الادباء كانوا يتكسبون من شعرهم ونثرهم آنذاك ، ولما كان الامراء والقواد ـ وجلهم ليسوا من العرب ـ يجهلون اللغة العربية الفصحى ولا يتذوقون ادابها الرفيعة اضطر الادباء الى اتخاذ

العامية وسيلة لمدائحهم ومراثيهم وغزلهم ... الخ لكي يفهم الأمراء ما يقال ، وشعر الفترة المظلمة ونثرها اصدق دليل على قولنا .

٦ ـ لاسباب قد تكون سياسية او اقتصادية او ثقافية تجتمع اقوام مختلفة الاجناس في البلد الواحد ، ولما كانت لكل جنس من تلك الاقوام لغته او لهجته الخاصة فان ذلك سيؤدي الى ايجاد مجتمع يحوي لغات او لهجات متعددة ، ومن هنا يبدأ التفاعل بين تلك الاقوام ونتيجة الصراع متوقفة على العناصر القوية التي يحملها قوم دون اخرين وحصول احد الاطراف المتفاعلة على الغلبة لا يعني انعدام تأثير الاطراف المغلوبة مطلقا فان كمية من الالفاظ او أساليب الكلام لابد ان تسرب الى اللغة المنتصرة بشكل محرف وتشيع فيها ويستعملها الناس في احاديثهم وكتاباتهم وقد لا يعرفون من اين جاءتهم وان في في تاريخ العراق خير شاهد على ما نقول فان الظروف التاريخية التي مر بها العراق منذ مئات السنين وتعرضه لغزوات الفرس وانحسار الاتراك عنه او بالعكس خلف آثارا واضحة تتلمسها في هذه الالفاظ التي نلحظها في لهجاتنا ، هي خليط من التركية والفارسية والهندية وحتى ان بعضها من اصول انكليزية او فرنسية[1] .

٧ ـ ان احتواء المجتمع على طبقات متعددة ، واتساع الفروق بين تلك الطبقات يسبب انقساما في اللغة الواحدة على نفسها ، والتمايز الطبقي بشكل ملحوظ لدليل على تأخر المجتمع وانحطاطه وطبيعي ان انعكاسات تأخر المجتمع ستبدو جلية في اللغة ، حيث تبدأ كل طبقة ، نتيجة انعزالها عن الاخرى بتحريف الالفاظ ـ بفعل عوامل كثيرة ـ وأصواتها عن اصولها ويتسع ذلك تدريجيا حتى يشمل لغة الادب ولغة التحديث ايضا وليس من العسير على المرء ان يجد ان

---

(١) راجع فصل (ملاحظات لغوية) من كتاب (آراء واحاديث في اللغة والادب) للاستاذ ساطع الحصري .

لكل طبقة من طبقات المجتمع الفاظا خاصة يندر استعمالها عند الطبقة الاخرى ، وعلى ذلك فان القضاء على النظــام الطبقي او السعي الى تخفيف حدة الفروق سيؤدي الى توحيد اللغة • وما دمنا في صــدد الكلام عن المجتمع وطبقاته فلابد ان نذكر ايضا ان لغـــة المجتمعات المتأخرة ، حيث يكون التمايز شديدا بين المرأة والرجل ، تكون ذات طابعين ، فالنساء يستعملن الفاظا ومفردات خاصة ، وينطقن اللفظ باصوات خاصة فيها اختلاف عن اصوات الرجال • غير ان ذلـــك الاختلاف يزول كلما ذابت الفروق بين الجنسين •

اللغـة العالميـــة(*) :

لم تكن الدعوة الى اللهجة العامية هي الوحيدة التي قصد من ورائها الاضرار باللغة الفصحى ، فقد تبنى البعض الدعـــوة الى لغـــة عالميـــة كـ (الاسبرنتو) مثلا واخذوا يبشرون بها ويدعون لها ، غير ان الفشل كان حليفهم ايضا ، وانما تفشل هذه الدعوة وامثالها لانها صناعية ، فيها تكلف وتصنع لا يتفقان مع طبيعة اللغات المتطورة مع تطور الحياة •

والواقع ان محاولات عديدة جرت لوضع لغـة عالمية ، فقـــد ذهب الفيلسوف (فرنسيس بيكون) الى ان العـــالم يجب ان يحافظ على اللغـة اللاتينية لغة دولية • وألف كتابه (ترقية المعارف) بهـــا ، بينما ذهـــب (ديكارت) الى ان العالم الحديث يجب ان تكون له لغتان دوليتان ، الاولى: لغة فلسفية قوامها المنطق والنهج العلمي والثانية مشتركة لعامة الناس • ومنذ ذلك الحين وحتى اليـــوم ظهر نحو من سبع عشـــرة لغـــة اولها ما وضعه (ديكارت) سنة ١٦٢٩ وآخرها ما وضعه العالم (ديتريش) سنة ١٩٠٢ • ولقد حاول علماء آخرون وضع لغـــة دوليـــة تقوم على اساس المفردات

(*) راجع مقالة (اللغة الدولية والسلام العالمي) للدكتور مراد كامل نشرت في مجلة (المجلة) العدد الاول السنة ١٩٥٧ •

والتراكيب في اللغات الكبرى المعروفة ، وبلغت تلك المحاولات الثلاثين محاولة ، كان اول من بدأها العالم (فينية Faignet) الفرنسي سنة ١٧٦٥ • ومن هذا النوع من اللغات لغة (الاسبرنتو) التي وضعها (زامنهوف) سنة ١٨٨٧ وهو عالم يهودي بولوني •

غير ان الملاحظ ان جميع المحاولات تلك قد فشلت ، حتى اننا نجد ان هيئة الامم المتحدة وهي مؤسسة عالمية عمدت الى اعطاء الحرية للمندوبين لاستعمال لغاتهم الخاصة مع استعمال نظام الترجمة المباشرة ، ومن اسباب فشل تلك المحاولات انها تنتهي الى مكررات غير كاملة للغات الطبيعية او الى خليط بدائي من عدة لغات[1] •

* * *

بعد هذا نستطيع القول بان الوسائل التي تقضي على اللهجات العامية واضحة كل الوضوح ، غير انها تتوقف على ادراك المسؤولين عن قيادة الامة سياسيا واجتماعيا وفكريا ، ادراكا عميقا لقيمة اللغة ، فان تم ذلك فان الوسائل الاخرى ستكون ثانوية الاهمية تقريبا ، ولكنها مع ذلك تساعد على تعميق الاصلاح ونستطيع ان نوجز الوسائل المقترحة بما يلي :

١ ـ رفع المستوى الثقافي ، ونشر الثقافة بين الاوساط الشعبية وذلك عن طريق الاكثار من فتح المدارس ونشر المطبوعات القيمة في طبعات زهيدة الثمن ليتسنى لمختلف الطبقات اقتناءها •

٢ ـ انصراف الاخصائيين الى تيسير امور العربية سواء ما تعلق منها بالقواعد النحوية والصرفية او ما يتعلق بامور الخط او طرق التدريس ووضع المعاجم • على ان تكون تلك الدراسات جماعية منسقة •

٣ ـ للاذاعة الاثر الكبير في سمو اللغة او انحطاطها ، فاذا ما تهيأ لتلك الوسيلة اناس يدركون قيمة العربية الفصحى وخطر العامية عليها فان ذلك سيساعد في القضاء على العامية •

---

(١) آفاق المعروفة صفحة (٣١٩) •

٤ – تعميم وسائل النقل في مختلف ارجاء البلاد ، ونقصد بوسائل النقل : القطار ، السيارة ، البريد ، اللاسلكي ، الهاتف ، المذياع (التلفزيون) ... الخ . فان ذلك سيؤدي الى تحطيم العزلة المفروضة على بعض المدن والمناطق ، تلك العزلة التي تسبب نشوء اللهجات الخاصة .

٥ – تحسين النظم الاقتصادية بحيث يؤدي ذلك الى تقليل او ازالة الفروق بين الطبقات الاجتماعية كي تكون هناك لغة واحدة للجميع .

٦ – استعمال الابوين للعربية الفصحى امام الاطفال يؤدي بلا شك الى اكتسابهم تلك الالفاظ وبالتالى ترديدها دون اللجوء الى العامية أو ظهور أي معاناة في تعلمها .

٧ – وضع قيود ثقافية شديدة يجب توفرها في الشخص ليسمح له بممارسة مهنة الصحافة ، وعدم الاكتفاء بالتجربة والممارسة فقط . اذ ان انعدام الثقافة سيؤدي بالتجربة الى ان تسير في طريق الخطأ .. وبمعنى آخر ، ان التجربة او الممارسة لا تكون نافعة اذا لم تكن مرتكزة على اسس متينة من الثقافة .

مراجع الكتاب

المصادر القديمة :

١ ـ المزهر ج ١ ، ٢ ـ للسيوطي

٢ ـ عيون الاخبار ـ الدينوري — طبعة دار الكتب المصرية

٣ ـ البيان والتبين ـ الجاحظ — الطبعة الاولى

٤ ـ الانصاف في مسائل الخلاف — الانباري

٥ ـ اخبار النحويين البصريين — للسيرافي

٦ ـ مقدمة ابن خلدون — طبعة دار الكشاف

٧ ـ الامتاع والمؤانسة — ابو حيان التوحيدي

٨ ـ الرد على النحاة — ابن مضاء القرطبي

٩ ـ لسان العرب

١٠ـ تاج العروس

١١ـ قاموس المحيط

١٢ـ الخصائص — ابو الفتح عثمان بن جنى طبعة دار الهلال

١٣ـ معجم الادباء — ياقوت الحموي

١٤ـ الاغـــاني — طبعة دار الكتب المصرية

١٥ـ خزانة الادب — البغدادي ـ المطبعة السلفية

١٦ـ تفسير الكشاف — الزمخشري

المصــادر الحديثة :

١ ـ المصطلحات العلمية في اللغـة العربية	مصطفى الشهابي
٢ ـ فلسفة المعتزلة ج ١ ، ج ٢	الدكتور البير نصري نادر
٣ ـ اراء واحاديث في الوطنية والقومية	ساطع الحصري
٤ ـ محاضرات في اللهجات واسلوب دراستها	الدكتور انيس فريحة
٥ ـ نحو عربية ميسرة	الدكتور انيس فريحة
٦ ـ منهج البحث في الادب واللغة	ترجمة الدكتور محمد مندور
٧ ـ البلاغة العصرية واللغة العربية	سلامة موسى
٨ ـ علم اللغـــة	الدكتور علي عبدالواحد وافي
٩ ـ اللغة والمجتمع	الدكتور علي عبدالواحد وافي
١٠ـ فقه اللغــة	الدكتور علي عبدالواحد وافي
١١ـ العروبة في ميزان القومية	نقولا زيادة
١٢ـ اللغة عند الطفل	صالح الشماع
١٣ـ فيض الخاطر ج ١	احمد امين
١٤ـ اللغة العربية واصولها النفسية وطرق تدريسها	الدكتور عبدالعزيز عبدالمجيد
١٥ـ تاريخ اللغات السامية	اسرائيل ولفنسون
١٦ـ نشوء اللغة العربية ونموهـا واكتهالها	انستاس الكرملي
١٧ـ ضحى الاسلام ج ١	أحمد أمين
١٨ـ فجر الاسلام	أحمد أمين
١٩ـ تاريخ اداب العرب	مصطفى صادق الرافعي
٢٠ـ الاتجاهات الحديثة في الاسلام	للمستشرق جب ترجمة كامل سليمان
٢١ـ اللغة العربيـــة في ماضيهـا وحاضرها ومستقبلها	جورج كفوري
٢٢ـ العربية ـ دراسات في اللغـة واللهجات والاساليب	للمستشرق يوهان فك ترجمة عبدالحليم النجار

٢٣ـ الاتجاهات الحديثة في النحو	مجموعة محاضرات
٢٤ـ غرائب اللغة العربية	روفائيل نخله اليسوعي
٢٥ـ من قضايا اللغة والنحو	علي النجدي ناصف
٢٦ـ تيسير اللغة العربية	رشاد المغربي دارغوث
٢٧ـ اصول النحو	سعيد الافغاني
٢٨ـ نقد الاقتراحات المصرية في تيسير العلوم العربية	الشيخ محمد الجواد آل الشيخ احمد الجزائري
٢٩ـ دقائق العربية	أمين آل ناصر الدين
٣٠ـ دفاعا عن اللغة العربية	كمال الحاج
٣١ـ فلسفة اللغة	
٣٢ـ القومية الفصحى	عمر فروخ
٣٣ـ نحو عربية افضل	الجنيدي خليفة
٣٤ـ اللغة الشاعرة	عباس محمود العقاد
٣٥ـ خصائص العربية ومنهجها الاصيل في التجديد والتوليد	محمد المبارك
٣٦ـ محاضرات عن مستقبل اللغة العربية المشتركة	الدكتور ابراهيم انيس
٣٧ـ دراسات في فقه اللغة	الدكتور صبحي الصالح
٣٨ـ محاضرات عن القومية العربية تاريخها وقوامها ومراميها	مصطفى الشهابي
٣٩ـ الفلسفة اللغوية والالفاظ العربية	جرجي زيدان
٤٠ـ رأى في بعض الاصول اللغوية والنحوية	عباس حسن
٤١ـ احياء النحو	ابراهيم مصطفى
٤٢ـ النحو الجديد	عبدالمتعال الصعيدي
٤٣ـ مستقبل الثقافة في مصر	طه حسين
٤٤ـ تجديد اللغة العربية	اسماعيل مظهر
٤٥ـ قواعد اللغة العربية ومشكلة تعليمها للناشئة العربية	محمود البريكان
٤٦ـ فتاوى كبار الكتاب والادباء حول مستقبل اللغة العربية	نشرته دار الهلال في مصر

٤٧ـ تعليم مبادىء القراءة	صبيحة عكاش فارس
٤٨ـ اصول التدريس ج١ و٢	ساطع الحصرى
٤٩ـ مؤتمر المدرسين الاول ـ تدريس اللغة العربية (الادب)	الدكتور ناصر الحاني
٥٠ـ اصول تدريس اللغة العربية	الدكتور بديع شريف
٥١ـ اصول الفاظ اللهجة العراقية	محمد رضا الشبيبي
٥٢ـ مدرسة النحو الكوفي	الدكتور مهدى المخزومي
٥٣ـ اللغـــة	للعالم ج ، فندريس ترجمة عبدالحميد الدواخلي ومحمد القصاص
٥٤ـ حول الماركسية في علم اللغة	ستالين
٥٥ـ هل العربية منطقية ، ابحـــاث ثنائية الالسن	الاب مرمرجى الدومنكى
٥٦ـ المعجزة العربية	ماكس فانتاجو ترجمة رمضان لاوند
٥٧ـ العبقرية العربية في لسانها	زكي الارسوزى
٥٨ـ المباحث اللغوية في العراق	الدكتور مصطفى جواد
٥٩ـ محاضرات عن مشكلات حياتنـا اللغوية	امين الخولي
٦٠ـ اراء واحاديث في اللغة والادب	ساطع الحصرى
٦١ـ دراسات في اللغة	الدكتور ابراهيم السامرائي
٦٢ـ تسهيل الخط العربي	منير القاضى
٦٣ـ اللهجات العربية	الدكتور ابراهيم انيس
٦٤ـ انتشار الخط العربي في العـــالم الشرقي والعالم الغربي	عبدالفتاح عبان
٦٥ـ رسالة في الكتابة العربية	انستاس الكرملي
٦٦ـ تيسير العربية	محمد علي كمال الدين
٦٧ـ تيسير الكتابة العربية	يونس عبدالرزاق السامرائي
٦٨ـ كلمة في اللغة العربية	اسعاف النشاشيبي
٦٩ـ الاداب السامية	محمد عطية الابراشي

المجـلات :

١ ـ العراق

مجلة المجمع العلمي العراقي	العدد الاول السنة الاولى
مجلة العرفان	العددان الخامس والسادس المجلد (٤٢)
مجلة كلية الاداب	العدد الثاني السنة ١٩٦٠
مجلة المعلم الجديد	العددان (٥،٦) السنة (١٢)
	العدد الاول السنة (١٨)
مجلة الاستاذ	العدد الرابع السنة ١٩٥٥
مجلة عالم الغد	العدد الثالث السنة الاولى

٢ ـ لبنان

مجلة الابحاث	العدد الثالث السنة (٥)
	العدد الاول السنة (٨)
مجلة الاديب	العدد الثامن السنة (١٩)
	العدد الحادى عشر السنة (١٩)
مجلة الاداب	العدد (٣) السنة الاولى
	العدد (١١) السنة الاولى
	العدد (٣) السنة الثانية
	العدد (٤) السنة الرابعة
	العدد (١١) السنة الرابعة
	العدد (٨) السنة الخامسة
مجلة العلوم	العدد (١) السنة الاولى
	العدد (٣) السنة الاولى
	العدد (٧) السنة الاولى
	العدد (٩) السنة الاولى
	العدد (١٠) السنة الاولى
	العدد (٤) السنة الثانية
	العدد (٥) السنة الخامسة
	العدد (٦) السنة الخامسة

٣ ـ تونس

مجلة الفكر	العدد (٣) السنة الخامسة
	العدد (٣) السنة السادسة

العدد (٣) السنة السابعة

٤ ـ مصر

مجلة المجلة	العدد الاول سنة ١٩٥٧
	العدد (٢٣) سنة ١٩٥٨
مجلة الغـد	العدد الاول سنة ١٩٥٩

فهرس

كلمة الختام

لقد كنت انتهيت من وضع هذا الكتاب قبل اكثر من سنتين ، فما تيسر لي طبعه الا في هذا العام • فكان ان قرأته قبل ان ادفع به الى المطبعة فوجدت فيه معلومات مكثفة ينبغي ان يفصل فيها الكلام ويوسع الحديث ، واخرى فيها اطناب وهي أجدر بالايجاز • كما اني اطلعت بعد وضع الكتاب على الكثير من المؤلفات والاراء الباحثة في اللغة العربية ، وجلها ذات قيمة ، الا ان رأيي قر على ان اخرج على الناس بالكتاب كما وضعته قبل سنوات ، لا اضيف اليه شيئا مما حصلت عليه من معلومات جديدة ، ولا اغير فيه شيئا مما يستحق ان يعاد فيه النظر ، لان تلك الاراء على قيمتها العلمية لن تغير خطة البحث الرئيسة في الكتاب ، ولن تنقض ما احتواه من احكام ونتائج ، ولان ما كتب عن اللغة العربية اوسع من ان يحد او يجمع في كتاب واحد •

لقد هدفت من وضع هذا الكتاب الى خدمة اللغة العربية بابراز بعض الحقائق العلمية المتعلقة بها من وجوهها المختلفة ، بعد ان ذكرت الاراء التي يثيرها الناقمون عليها ، لازالة الكثير من الاوهام التي رسخت في بعض الاذهان كحقائق لا تقبل النقاش ، فان جانبني النجاح في جهدي هذا ، فعذري في اني خضت موضوعا شائكا لا يسلم الباحث فيه من الزلل ، وان جاء بحثي مبتسرا فعذري اني اردت الاحاطة بموضوع كتب فيه الاقدمون والمحدثون فما الموا به كله •

والله من وراء القصد •

المؤلف

جدول الخطأ والصواب

الصفحة	السطر	الخطـأ	الصـواب
١٥	١	نتبع	نتتبع
٢٠	٢١	أدراك	ادراك
٢٩	١٢	سيادنكم	سيادتكم
٣٠	١٣	عجب	اعجب
٣٤	١٣	فتعدد	فتتعدد
٤٤	٢	المتشرق يوهان فك	المستشرق يوهان فك :ـ
٤٥	١٦	لا يوجب	مما لا يوجب
٤٩	١٠	والشارات	والثارات
٥١	٧	... التمييز هو	... التمييز وهو
٦٢	٢	، أن حججهم	فان حججهم
٧١	١٤	هو ان ارتباطا	هو ان هناك ارتباطا
٧٤	١١	الامثلة القلية	الامثلة القليلة
٨٢	٥	وأذ ان	وأذان
٩٧	٧	بعيدا عن المؤثرات	... بعيدا عن المؤثرات ؟؟
٩٩	١٢	.. في رأيي	.. في رأيه
١١٠	١٣	جعل الاسلتذ	جعل الاستاذ
١١٥	٤	قندريس	فندريس
١٢١	٧	مهمة	مهملة
١٢١	١٣	المنشورة	المنشودة
١٢٧	٢	:	.
١٣٩	١٢	سري	سر
١٤٠	١٤	كان	كانت

صدر حديثا : من منشورات مكتبة النهضة ببغداد :ـ

	الثمن
البلاغة عند السكاكي ـ الدكتور احمد مطلوب	١٠٠٠
الفروسية في الشعر الجاهلي ـ نوري القيسي	٧٥٠
الشعر عند البدو ـ شفيق الكمالى	١٢٥٠
شعر المخضرمين واثر الاسلام فيه ـ يحي الجبوري	١٠٠٠
الاسلام والشعر ـ يحي الجبوري	٣٥٠
لبيد ابن ابي ربيعة العامري ـ يحي الجبورى	٢٥٠
ديوان ابي الاسود الدؤلي ـ تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين	٣٠٠
العراق في العصر الاموى ـ من الناحية السياسية والادارية والاجتماعية ـ ثابت اسماعيل الراوي	٦٠٠
الشاعر الثائر ، محمد باقر الشبيبي ـ عبدالرزاق الهلالي	٥٠٠
التطبيقات النحوية للصفوف الرابعة والخامسة العلمية ـ تاليف نوري القيسي وسامي مكي العاني ـ مراجعة الدكتور احمد مطلوب	١٥٠

(٣٠٠) فلس

مطبعة الارشاد ـ بغداد